جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم الشريعة

دور مقاصد الشريعة في بناء الحضارة الإنسانية

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية – تخصص: أصول الفقه

إعداد الطالب :
فخر الدين حدد

إشراف الأستاذ الدكتور:
إبراهيم رحماني

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أبو بكر لشهب	أستاذ دكتور	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
إبراهيم رحماني	أستاذ دكتور	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
عماد جراية	دكتور	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	ممتحنا

الموسم الجامعي: 1437-1438هـ/ 2016/2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من ربياني صغيرا وسهرا على رعايتي وتعليمي وتهذيب أخلاقي ، إلى والديّ الحبيبين ...

إلى إخوتي الأعزاء فردا فردا ...

إلى زوجتي الغالية التي تحملت معي أعباء رحلة البحث العلمي ...

إلى ابنتي أشواق وابني ضياء الدين متمنيا لهما مستقبلا مشرقا مزدهرا بالعلم والعمل الصالح ...

إلى المعلمين والأساتذة الذين درسوني من الابتدائي إلى الجامعة مشكورين على مجهوداتهم

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي هذه .

الطالب فخر الدين حدد

شكر وتقدير

أقدم شكري لجميع من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث، وتذليل صعوباته، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف،أستاذي الدكتور إبراهيم رحماني، الذي استفدت كثيرا من توجيهاته ونصائحه التي أعانتني في إنجاز بحثي وإخراجه على الصورة التي هو عليها، كما أعبر عن تقديري وامتناني لكل الأساتذة الذين درسوني خصوصا أساتذة معهد العلوم الإسلامية بالوادي.كما أشكر كل من كانت له مساهمة وبأي شكل من الأشكال، في سبيل إنجاح بحثي هذا وإتمامه على أحسن وجه ممكن ...

الطالب فخر الدين حدد

ملخص البحث

لقد شغل موضوع التحضر بال كثير من الناس وخاصة العلماء منهم، وأسال النقاش حوله الكثير من الحبر، كل يدلي بدلوه للإدلاء برأيه فيه، سواء لشرحه وبيان المراد منه، أم لاتخاذ موقف واضح حوله، إما إيجابي أو سلبي. ولكن المطّلع على الاختلاف الذي حصل حول موضوع التحضر يجد أن هذا الاختلاف اختلاف لم يحرّر فيه موطن النزاع، ذلك أن التحضر الحقيقي لا ينبغي أن يُختَلف فيه، بل المطلوب أن يحصل حوله اتفاق؛ ذلك أنّ التحضر الحقيقي هو ما كان منطلقه دينيا وخضع لسلطان الأخلاق والفضائل، وما لم يكن كذلك فلا يصح تسميته تحضرا أصلا، بل يمكن أن يطلق عليه تسميات أخرى، مثل: التمدن،أو الحداثة أو التطور المادي، أو غير ذلك.ولهذا فقد كانت الحضارة الإسلامية أعظم الحضارات وأكثرها نفعا للبشرية؛لأنها اشتملت على خصائص حضارية لم تشهدها أي حضارة لا قديما ولا حديثا، ذلك لأنّ مصدرها رباني، وتعاليمها مستمدة من الوحي، وما كان كذلك فإنه خير كله سواء في العاجل أم الآجل. ومنه فإن المقاصد العامة للشريعة الإسلامية قد ساهمت مساهمة كبيرة وفعالة في إرساء قواعد الفعل الحضاري،وتطوير النشاطات الحضارية وتهذيبها وإصلاح ما فيه خلل منها، بما يعود بالخير والسعادة للبشرية، لأن ما اعتبره بعض الناس تحضرا ليس هو كذلك عند تدقيق النظر، ولهذا احتاج الناس إلى توجيه رباني وإرشاد سماوي يميزون به بين الحق والباطل، وبين الغث والسمين في موضوع التحضر، كيلا يقعوا فيما لا تُحمد عقباه، وهو الدور الذي قامت به مقاصد الشريعة الإسلامية على أكمل وجه.

ملخص البحث بالإنجليزية

The subject of urbanization has occupied many people, especially scientists and the discussion about it has poured a lot of ink all make his own contribution to according his opinion everyone either to explain and indicate the meaning of it, or to take a clear; negative or positive .But who is familiar with the difference about the topic of urbanization finds that this difference has not been identified urbanization should not be different, but to get an agreement about it that real urbanization is what was religiously motivated and goes under the rule of morals and virtues otherwise it is not correct to call it civilized, but might be called other labels, such as modernity, or physical development, or something else and that Islamic civilization has been the greatest and most beneficial cultures. Of humanity; they included urban properties not seen in any civilization not old not recently, because their source, and their teachings derived from revelation, and what was it all good soon or later. And of the general purposes of Sharia It has contributed greatly to the establishment of the rules of civilizational action, and the development of civilized activities and the reform and repair of what is flawed, including the good and happiness of mankind, why what some people consider civilized not so when checking between the right and wrong, and the bad and good on the subject of urbanization, So that they do not fall in what is undesirable which is the role played by the purposes of Islamic law to the fullest.

الرموز والإشارات المستخدمة في البحث

الرمز	دلالته
ج	الجزء
ص	الصفحة
هـ	هجري
ت	توفي
م	ميلادي
تح	تحقيق
لا.ط	لا طبعة
لا.ن	لا ناشر
لا.م	لا مكان طبع
د.ت	بدون ذكر تاريخ نشر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ولي المتقين، وناصر المؤمنين، القائل عزّ وجل:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:56].والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وإمام المرسلين ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد النبي الأمين، والمنزّل عليه صلى الله عليه وسلم:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:107]،وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ خلق الله عز وجل للإنسان لم يكن عبثا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وإنما كان لمقصد أسمى وهو عبادته سبحانه وتعالى وحده لا شريك له. ومفهوم "العبادة" في الأصل ليس ضيقا كما يعتقد بعض الناس، وإنما يشمل جميع حركات المكلفين وسكناتهم، بحيث تصير جميعها خاضعة لقانون التعبد لله والامتثال لأمره عز وجل، ومن ذلك تعتبر عمارة الأرض من صلب الأعمال التعبدية.لذلك فالتكريم للإنسان بجميع أنواعه كان –أصلا- من أجل تحقيق هذه الغاية. لكن مع مرور الزمن نسي الإنسان المقصد من خلقه، فكان ذلك سببا مناسبا لبعث الله الرسل إلى عباده ليذكروهم بالهدف من خلقهم ووجودهم على سطح الأرض.

وفي العصر الحديث، ومع تطور الحضارة الإنسانية ماديا من مختلف الوجوه وفي شتى الميادين ، اختلف الناس في النظر إليها، حيث ظهر فريقان على طرفي نقيض، أحدهما: ذهب إلى أنّ هذه الحضارة وما يتعلق بها من تحديث وتطور معارض للدين ومناف لقيمه، والفريق الثاني: وهم من أدعياء الحداثة، انبهروا بما اشتملت عليه هذه الحضارة ،وعملوا على الأخذ بمقتضياتها دون تمييز بين خيرها وشرها، ورأوا أن التدين يتنافى مع الحضارة. وبرروا نظرتهم هذه للموضوع ببعض التصرفات الصادرة عن طائفة منسوبة إلى التدين، ممن لم يحسنوا فهم الدين ومقاصده السامية فهما صحيحا.

فنشأت عن ذلك معارك فكرية بين فريقين كبيرين في الأمة منذ ظهور النهضة الحضارية الأوربية الأولى (الثورة الصناعية). وأثناء هذا الجدال الفكري تم تداول مصطلحات يصدم بعضها بعضا، كالتحضر والتدين، والحداثة والرجعية، والتفتح والتزمت ...إلخ، واستمرت النقاشات السفسطائية دون جدوى وضُيّعَت أزمانٌ وجهود وأقلام من غير طائل، بسبب إشكال مفتعل، أو بسبب عدم تحرير محل النزاع. ولو أن الفريقين احتكما إلى الفهم الصحيح

للدين والتاريخ والواقع لما اضطُرُّوا إلى هذه المنازلة الفارغة، ولكسبوا شروط التقدم، ولارتقت الأمة مرتقى عظيما.ولكن هؤلاء وأولئك احتكموا إلى مجرد التعصب والأغراض وقبلوا بجدوى النزاع، فلم يفتروا عن إحياء إشكاله كلما سعت الأمة للنهوض والتقدم، معرقلين سيرها بقوة أكثر من حجم المشكل الأصلي الذي وقع الخلاف بشأنه.

ثم إن الأمة الإسلامية في زمننا تعيش تقاربا كبيرا مع الأمم والثقافات العالمية الأخرى نتيجة التطور الهائل في وسائل الاتصال وأدوات التواصل المعرفي، وأصبحت حضارات الأمم الأخرى بما تملكه من مقومات لها تأثير إعلامي وهيمنة فكرية واقتصادية وسياسية تستحوذ على مجريات التغيير والتأثير في مجتمعاتنا الإسلامية من خلال المد العولمي بكل أدواته المعاصرة، وقد برزت في الأمة أجيال تأثرت بالحضارات والقيم الغربية على وجه الخصوص وأعجبت بمضامينها وانساقت معها، وضعف جراء ذلك الأثر الديني والقيَمي في أنفسهم، فكان لزاما أن تقوم المؤسسات التعليمية والمجتمعية بإعادة التأهيل لعقول أمثال هؤلاء، ومساعدتهم للمحافظة على دينهم وقيمهم بالعودة الصادقة الواعية إلى الرسالة الحضارية للإسلام، والتي يمكن أن تقدم دورا رائدا في بعث النفوس والعقول نحو مدارج التحضر والعمران البشري من جديد.

وما زالت النقاشات حول هذا الموضوع سارية إلى يومنا هذا، وما زال أدعياء المدنية والحداثة يتشدقون بعدم مواكبة الشريعة الإسلامية لتطورات العصر والرقي الحضاري، ومن هنا كان المطلوب هو العمل على توضيح المسألة ووضعها في نصابها ونطاقها السليم، وإسعاف الحروف بنقاطها، حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وتقام الحجة وتوضَّح الحقيقة للباحثين عنها.وبناء عليه اخترت أن أكتب في موضوع:"دور مقاصد الشريعة في بناء الحضارة الإنسانية".

أهمية الموضوع:

نظرا للَّبس الذي يعتري أذهانَ كثير من الناس حول مفهوم التدين ومفهوم التحضر، واعتقاد بعض من لم يطلع على مقاصد الشريعة ، ولم يفهم المرامي التي تسعى لتحقيقها وتثبيتها لخدمة الإنسان ومراعاة مصالحه في العاجل والآجل، ونظرا لأن الشريعة الإسلامية كانت هدفا لسهام النقد والانتقاد الموجهة إليها من طرف المدعين للتطور والحداثة والتحضر،

كان من الواجب المساهمة في إزالة ذلك اللبس على الذين لم يفهموا الموضوع كما يجب أن يُفهم، والسعي لإحقاق الحق وإبطال الباطل، حتى تتضح الصورة بالدليل الذي لا جدال معه ولا خلاف فيه أن مقاصد الشرع الحنيف يمكنها تتبع واحتواء كل التطورات الحادثة على مختلف مستويات حياة البشر، فيرجع المنصف عن عناده ويقر بحقائق الأمور كما هي عليه في الواقع.

إشكالية البحث:

يمكن تلخيص الإشكالية المتعلقة بموضوع هذا البحث في السؤال التالي:

- ما مدى مساهمة مقاصد الشريعة في بناء الحضارة الإنسانية؟

ويندرج تحت هذا الإشكال جملة من الأسئلة الفرعية، هي كالآتي:

- ما مفهوم مقاصد الشريعة، وما المقصود بالحضارة؟
- هل يتعارض التحضر مع التدين؟
- ما هي علاقة مقاصد الشريعة بالتحضر البشري؟
- هل يمكن للشريعة أن تواكب كل أنماط التغير والتطور الحاصلة في حياة البشر؟
- ما هي أوجه مساهمة المقاصد الشرعية في البناء الحضاري الإنساني؟

أسباب اختيار الموضوع:

أسباب موضوعية:

1) لقد صار موضوع التحضر والتطور والرقي الحضاري موضوعا شائكا يحتل مساحات واسعة من كتابات عديدة، سواء الكتابات المنصفة، أم المغرضة التي تعمل على تشويه صورة الإسلام. وكثر الكلام حول إمكانية مواكبة الشريعة للتحضر والتمدن البشري، فارتأيت أن أدلي بدلوي في الموضوع، وأحاول أن أسهم بقدر جهدي وطاقتي في إزالة اللبس والغموض اللذيْن اكتنفا الموضوع.

2) محاولة فتح الآفاق أمام نظرة مستقبلية جيدة تدفع بمسيرة الأمة الحضارية إلى الأمام دون تعثر، ساعية نحو التحضر الحقيقي، والرقي الحضاري الإيجابي، غير ملتفتة لسفاسف الخواطر ولا لعوادي الدهر، ملتمسة الطريق الوسط في النظر إلى أمور الدنيا والآخرة.

3) المساهمة في التقريب بين وجهتي النظر المختلفتين إلى التحضر؛ أي بين وجهة نظر الذين اعتبروه أمرا محمودا بغض النظر عن سلبياته وانحرافاته، وبين النابذين له جملة وتفصيلا،القائلين بتنافيه مع نصوص الشريعة ومقاصدها العامة.

أسباب ذاتية:

1) مما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع هو رغبتي في بيان معنى الحضارة والتحضر الحقيقي، الذي يوافق الشرائع السماوية، ودحض كل الشبهات التي يسوقها أدعياء الحداثة في مفهومهم للتطور والتحضر البشري.

2) التفكير منذ مدة في محاولة الإلمام بموضوع مساهمة مقاصد الشريعة الإسلامية في ترقية الفعل الحضاري الإنساني، ودورها البارز في تحقيق التحضر الحقيقي والإيجابي للإنسانية، الذي يبني ولا يهدم ويُسعد ولا يُشقي، ويسعى لأن يحقق سعادتها في الدنيا والآخرة.

صعوبات البحث:

نظرا لقلة المصادر والمراجع التي تطرقت على جهة التخصص لهذا الموضوع، ونظرا إلى أن معظم الكتابات فيه لم تتطرق بالتفصيل إلى حيثياته وأبعاده، وطرح إشكالياته ومحاولة الإجابة عنها بطريقة علمية واضحة تزيل اللبس والغموض الذي يحيط به، فقد وجدت صعوبة في التطرق للموضوع وإيجاد المنهجية والطريقة المناسبة لدراسته، ولكن حاولت بقدر طاقتي وجهدي المتواضع أن أضع خطة عمل لعلها تكون مناسبة لمثل هذا البحث، راجيا من الله تعالى التوفيق والسداد.

أهداف البحث:

1) توضيح الموضوع توضيحا يزيل الغموض الحاصل حوله، وتبسيطه ليسهل فهمه، وبيان نظرة الإسلام للتحضر.

2) التعريف بالتدين، وبالحضارة والتحضر، وبيان أنهما لا يتنافيان أبدا عند المنصفين الباحثين عن الحقيقة

3) ذكر أبرز أوجه مساهمة مقاصد الشريعة في بناء الحضارة الإنسانية

4) بيان مواكبة مقاصد الشريعة الغراء لكل التطورات الحاصلة والتي ستحصل على مستوى معيشة الفرد والجماعة، واتساعها لإيجاد الأحكام المناسبة لكل ذلك، وأنها صالحة لكل زمان ومكان.

5) تقديم تطبيقات عملية لقدرة مقاصد الشريعة على استيعاب التطورات الحديثة، ودورها في إيجاد أحكام مناسبة لكل النوازل والمستجدات.

منهج البحث:

أ- اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ **فالوصفي**: عند بيان معنى الحضارة والتحضر والتدين، وعند الكلام عن مدى مساهمة مقاصد الشريعة في بناء الحضارة الإنسانية، مصحوبة بالأدلة الواضحة. أما **التحليلي**: فعند تحليل ظاهرة "التحضر"، وبيان أبعادها وأهميتها وضوابطها في الشريعة الإسلامية، وكذلك عند الكلام عن أوجه الدور الذي تقوم به مقاصد الشريعة في البناء الحضاري الإنساني.

ب- حاولت بقدر جهدي الرجوع في استقاء المعلومات والأفكار إلى مصادرها ومراجعها الخاصة بها، أي إلى أصحابها، وإذا لم أجد فإنني آخذ المعلومة من مصادر أخرى موثوقة وأحيل إلى أصحابها.

ج- اعتمدت في كتابة الآيات على المصحف العثماني ، وذكرت اسم السورة القرآنية لكل آية في المتن مقترنة برقم الآية.

د- عملت في عزو الأحاديث النبوية الشريفة على الرجوع إلى مظانها ومصادرها التي وردت فيها ما أمكنني ذلك، وإلا فإنني أقوم بعزو الحديث من المراجع المتوفرة.

هـ- تجنبت التعريف بالشخصيات الواردة في البحث، لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تجاوز البحث للحجم المطلوب والمحدد من طرف هيئة الجامعة. وذلك باستثناء بعض الشخصيات غير المتداولة أسماؤهم وخصوصا المستشرقين الذين لا يعرفهم بل ربما لم يسمع بهم كثير من الباحثين.

الدراسات السابقة:

بعد البحث المتواصل عن الدراسات السابقة في هذا الموضوع لم أعثر على دراسات كثيرة متخصصة، ويمكن القول بأنه موضوع لم تفرد له بحوث خاصة إلا نادرا حسبما يبدو ، لكن وجدتُ المؤلفين والباحثين يذكرونه في ثنايا كلامهم عن مقاصد الشريعة من الجوانب المختلفة، ومن الدراسات التي وقعت بين يدي دراسات أكاديمية قليلة جدا لبعض الباحثين ومقالات لبعض الباحثين في مجلات علمية متخصصة، أذكر منها:

1) **الوعي الحضاري، مقاربات مقاصدية لفقه العمران الإسلامي**، للدكتور مسفر بن علي القحطاني.الطبعة الثانية، الناشر (الشبكة العربية للأبحاث والنشر).

وقد عالج صاحب هذا الكتاب الموضوع من خلال مقدمة وأربعة فصول.وفي هذا العمل المتميز يجتهد المؤلف لإعادة تأسيس فقه حضاري شهودي، يحث على السير والنظر في الأرض، ويقوم بواجب التسخير الكوني. لهذا يمثل الكتاب محاولة لتوضيح هذا المقصد، من خلال إلقاء الضوء على معالم هذا الفقه العمراني، عبر وقود الوعي الدافع للتغيير والعمل، وتحفيز الفقهاء على مزيد من البحث والتأصيل لقضايا هذا الفقه.

ولعل من أهم ما يميز هذا الكتاب قدرته على تمديد مفهوم الوعي الديني وقضاياه على مظاهر متعددة للحياة الإنسانية، تجمع بين الشرعي والاقتصادي والسياسي والقانوني والبيئي؛ بحيث تجد أن مفهوم الوعي الديني يؤطر كل نواحي الحياة العامة والخاصة للفرد المسلم.وتتمثل فصول الكتاب في:

أولا–مقاربات حول مفاهيم الوعي.

ثانيا– لبنات في صناعة التحضر، وفيه موضوعان:

أ– فقه العمران وصناعة التحضر الإسلامي. ب–الصناعة الفقهية والتأثير في الحضارة الإنسانية

ثالثا–مقاصد التحضر في الشريعة الإسلامية

والذي تطرق من خلاله إلى خمسة مواضيع هي:

أ– مقصد عمارة الأرض في الشريعة الإسلامية. ب– مصالح الخلق في عمارة الأرض

ج- تسخير الكون لأجل الإنسان وعمارة أرضه. د- الشهود الحضاري على الأمم بعمارة الأرض وفق مراد الله تعالى. هـ- رعاية النبي ﷺ وأصحابه للعمران الدنيوي.

رابعا- منطلقات في بناء الوعي الحضاري

وقد تعرض في هذا الفصل إلى ثماني قضايا تتمثل فيما يأتي:

أ- خطة العمران الحضاري. ب- نماذج من فقهاء العمران الحضاري.

ج- القضاء وإصلاح العمران البشري. د- الوعي الوطني وعلاقته بالتحضر الرشيد

هـ- أفكار في تغيير القناعات السابقة من أجل مستقبل واعد من المواطنة

و- الفنون وعلاقتها بالتحضر. ز- البيئة وعمارتها في التحضر الإسلامي

ح- مقاومة الذوبان بالصمود الحضاري.

2) **أصول التربية الحضارية في الإسلام –رسالة دكتوراه–** للدكتور هاشم بن علي بن أحمد الأهدل.وتتمثل موضوعاته فيما يأتي:

الفصل الأول، ويتضمن تمهيدًا، وتساؤلات الدراسة وأهداف الدراسة وأهميتها، ومصطلحاتها، ثم الدراسات السابقة، ومنهج الدراسة وإجراءاتها.

والفصل الثاني، يعرض فيه لأهمية التربية الحضارية من خلال استخدام مصطلح الحضارة وعناصرها، ودور التربية الإسلامية في بناء الحضارة الإسلامية. أما الفصل الثالث فيتعرض فيه المؤلف للأهداف التربوية في الحضارات المختلفة، ويتناول أيضا الفصل الثالث أهداف التربية الحضارية في الإسلام.

وفي الفصل الرابع يعرض المؤلف لأسس التربية الحضارية في الإسلام، من خلال ستة أسس رئيسية هي: العقدية، التعبدية، التشريعية، العلمية، الأخلاقية، النفسية، مبينًا الآثار التربوية الحضارية لكل أساس منها.

أما الفصل الخامس فيتناول فيه المؤلف ميادين التربية الحضارية في الإسلام؛ **أولا**: الميادين المادية وتتمثل في: الميادين الاقتصادية، والعسكرية، والتقنية، والصحية والطبية، والعمرانية. **ثانيا**: الميادين المعنوية، وذلك من خلال دور التربية الحضارية في الميادين الاعتقادية والروحية

والأخلاقية، والأدبية والفنية. ثم **ثالثا:** الميادين التنظيمية والتشريعية، ويعرض فيه المؤلف لدور التربية الحضارية في الميادين التشريعية والإدارية والسياسية والاجتماعية.

وأما الفصل السادس فيتناول فيه المؤلف أساليب التربية الحضارية في الإسلام.

والفصل السابع يعرض فيه المؤلف لدور المؤسسات التربوية في التربية الحضارية، من خلال دور الأسرة في التربية الحضارية ودور المسجد في التربية الحضارية، ودور المدارس والجامعات في التربية الحضارية ودور الإعلام في التربية الحضارية، ودور المجتمع في التربية الحضارية. أما الفصل الثامن فيتناول فيه المؤلف ضوابط ومعايير التربية الحضارية، من خلال تحديد المصطلحات وبيان ضوابط التربية الحضارية من وجهة نظر المؤلف.

3) **فقه التحضر من منظور مقاصد الشريعة الضرورية،** بحث للدكتور نور الدين الخادمي، نشر في مجلة التسامح. (www.tasamoh.om)

وقد تطرق الباحث في مقدمة بحثه إلى أن موضوع فقه التحضر يَدْرُس من منظور مقاصد الشريعة الضرورية قضيتين أساسيتين هما: 1) قضية التحضر باعتباره فعلا إنسانيا مثمرا ومفيدا على صعد الحياة المختلفة، 2) وقضية مقاصد الشريعة الضرورية باعتبارها وعاء فكريا ومرجعيا للتحضر ومسائله وعناصره. ليتطرق بعد المقدمة إلى عدة مواضيع أُجْمِلها فيما يأتي:

أ- المراد بفقه التحضر. ب- المراد بمقاصد الشريعة

ج- المراد بمقاصد الشريعة الضرورية د- الكلام عن المقاصد الضرورية وبيان خصائصها

هـ- مراعاة الضروريات الخمسة معروف في كل أمة وفي كل ملة

و-مقولة الضروريات عند علماء الحضارة. ز- مقارنة بين الضروريات في المقاصد وفي الحضارة وبيان أنهما متوافقان إلى حد كبير.

4) **التدين والتحضر،** بحث للدكتور عبد الرزاق وورقية، نشر في مجلة حراء.(hiramagazine.com) فبعد مقدمته التي أكد فيها على أن الحكمة من خلق الإنسان هي عبادة الله تعالى وعمارة الأرض، وتعرض خلالها إلى الخلاف الذي وقع حول مفهوم التحضر، بين مؤيد ومعارض له، وهل يمكن أن يتعارض التحضر مع التدين. تطرق بعدها إلى مفهوم التدين وأنه أمر فطري في الإنسان، ثم مفهوم التحضر وعناصره وخصائصه ، ليشير فيما بعد إلى أهمية التوجه نحو تدين

صحيح وتحضر إيجابي،ويبين أن أعظم الإنجازات الحضارية ذات منطلق ديني. ليخلص في نهاية المطاف إلى أهمية التوأمة بين التدين والتحضر؛لأنهما لا يتنافيان ولا يعني التمسك بأحدهما التخلي عن الآخر.

5) **معالم المنهج الحضاري في الإسلام**، بحث للدكتور عبد المجيد النجار.

وقد تطرق صاحبه من خلاله إلى مقدمة ذكر فيها أن الإسلام جاء ليكلف الإنسان بمهمة الاستخلاف؛ التي تتمثل في عبادة الله تعالى وعمارة الأرض. تناول بعدها الأسس الإيمانية لمنهج الحضارة الإسلامية، والتي تتلخص في ثلاثة عناصر، علاقة الإنسان بربه عز وجل، وعلاقته بأبناء جنسه من البشر، وعلاقته بالطبيعة.ليبين بعدها أنه يمكن القول: إن الحضارة الإسلامية بما هي تنفيذ لمهمة الخلافة في الأرض هي حضارة استخلافية، ينفّذها المستخلَف بحسب أوامر المستخلِف. ويشمل هذا الاستخلاف أمرين أساسيين هما:

أولا- التزكي الإنساني ثانيا- التعمير المادي

ثم يصرح بأن من المعالم المنهجية في بناء الحضارة الإسلامية أنها حضارة الشهادة على الناس، وهذه الشهادة ذات وجوه متعددة، تتمثل في شهادة العلم، وشهادة التبليغ، وشهادة العدل. ثم يتطرق إلى تفصيل تلك المواضيع في نقاط عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- الارتفاق الكوني، واستثمار البيئة الكونية، وضرورة الرفق بالبيئة الطبيعية

ب- التجلي التاريخي لمنهج الحضارة الإسلامية. ج-تجلي المنهج الحضاري في فقه الاستخلاف

د- المعلم الحضاري في علم الإيمان هـ- المعلم الحضاري في علم التشريع

و- تجلي المنهج الحضاري في الشهادة على الناس. ز- الشهادة الحضارية بالعلم

ح- الشهادة الحضارية بالتبليغ. ط- تجلي المنهج الحضاري في الارتفاق

ي- المنهج الحضاري في استثمار الطبيعة ك- المنهج الحضاري في الرفق بالبيئة

وأود أن أشير إلى أن بحثي هذا جاء كدراسة متخصصة في موضوع دور المقاصد في البناء الحضاري، عكس الدراسات التي أشرت إليها التي تطرقت إلى الموضوع من زوايا مختلفة، دون الإلمام بالجوانب المتشعبة لموضوع بحثي هذا، ذلك أن هذه الدراسات لم يكن المقصود منها-

حسبما يبدو- التعرض لدور المقاصد في الحضارة الإنسانية.لكني استفدت منها في بحثي حسب الخطة المرسومة.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

- مقدمة: وقد اشتملت على عنوان البحث، وأهميته، وأسباب اختيار الموضوع، وإشكالية الموضوع، الصعوبات، وأهداف البحث، منهج البحث، وخطة البحث.

- **المبحث الأول**: المدخل المفاهيمي للتعريف بمصطلحات البحث، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقاصد الشرعية، وأقسامها

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة والتحضر

المطلب الثالث: معنى التحضر البشري

- **المبحث الثاني**: أركان وخصائص الحضارة وأبعادها المقاصدية، وفيه ثلاثة مطالب أيضا:

المطلب الأول: أركان الحضارة

المطلب الثاني: خصائص التحضر البشري

المطلب الثالث: الأبعاد المقاصدية للتحضر البشري

- **المبحث الثالث**: دور مقاصد الشريعة في البناء الحضاري الإنساني،ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صلة مقاصد الشريعة بالبناء الحضاري الإنساني.

المطلب الثاني: دور مقاصد الشريعة في تفعيل خصائص الحضارة الإسلامية

المطلب الثالث: أهم أوجه مساهمة مقاصد الشريعة في بناء الحضارة الإنسانية.

- خاتمة

المبحث الأول

المدخل المفاهيمي للتعريف بمصطلحات البحث

قبل التطرق لموضوع الحضارة والتحضر ودور مقاصد الشريعة في بناء الحضارة لا بد من التعرض لتحديد مفهوم المصطلحات التي يتعلق بها البحث وهي:المقاصد ، الشريعة ،الحضارة والتحضر، وعلى ذلك فقد احتوى المبحث على المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول– تعريف المقاصد الشرعية وأقسامها

المطلب الثاني– مفهوم الحضارة والتحضر

المطلب الثالث– معنى التحضر البشري

المطلب الأول

تعريف مقاصد الشريعة وأقسامها

وسأتطرق لهذا المطلب من خلال مسألتين: 1-تعريف مقاصد الشريعة ، 2-أقسامها

– المسألة الأولى: تعريف مقاصد الشريعة

مقاصد الشريعة اسم لعِلم وفن من فنون الشريعة الإسلامية، وهو مركّب من لفظين:

1- المقاصد 2- الشريعة .

وقبل تعريف هذا الاسم المركب لا بد من تعريف اللفظين اللذين يتركب منهما في اللغة والاصطلاح:

أولا– تعريف المقاصد:

أ– لغة: المقاصد جمع: "مقصِد"،وهو مصدر ميمي مشتق من الفعل "قَصَدَ"،فيقال في اللغة: قصد يقصِد قصْداً ومقصِداً [1]. وله لغويا معان عديدة أبرزها[2] :

1- التوسط وعدم الإفراط والتفريط:قال الله تعالى:﴿ **وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ** ...﴾ [سورة لقمان: 19]. وعن النبي ﷺ قال: «**القصدَ،القصدَ تبلغوا**»[3].

2- التوجه واستقامة الطريق،قال الله تعالى:﴿ **وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ** ...﴾ [سورة النحل:09].

3- الاعتماد والأَمُّ وإتيان الشيء،قال ابن فارس: «القاف والصاد والدال أصول ثلاثة يدل أحدها على إتيان الشيء وأَمّـِه...»[4]، أي قصدِه.

---

(1) ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ج 5 (لا.ط،دار الفكر، سوريا،1979) ص:95، وابن منظور، لسان العرب، ج 3 (ط 3، دار صادر، بيروت، 1414هـ)، ص:353.

(2) المصدر نفسه.

(3) البخاري،محمد بن إسماعيل،الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل،حديث رقم: 6098.

(4) ابن فارس، المصدر السابق.

ب-اصطلاحا: عرفها بعض العلماء كمصطلح مستقل،دون ربطه بالمضاف إليه(الشريعة).ومن هؤلاء الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله:«هي الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها،التي تسعى النفوس إلى تحصيلها بمساعٍ شتى وتحمل على السعي إليها امتثالا»[1].

كما عرّفها الشيخ أحمد الريسوني فقال: «هو ما قُصِد وتريد الوصول إليه،وهو مقصود لك ولسعيك»[2].

ثانيا- تعريف الشريعة:

أ-لغة: يطلق لفظ"الشريعة" في اللغة ويراد به أحد معنيين:

1- الطريقة المستقيمة:ومما ورد في ذلك قوله تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ...﴾ [سورة الجاثية: 18].أي جعلناك على طريقة مستقيمة وواضحة من أمر الله تعالى،وشرع له الأمر أي سنه وبين طريقته[3]

2- مورد الماء الجاري: الذي يرده الناس لسقي دوابهم.ومنه قول العرب: شَرَعت الإبل،إذا وردت شريعة الماء[4]. والشريعة والشَّرع والشِّرعة بمعنى واحد. ومدار مادة شرع في اللغة على الظهور والبيان والوضوح[5].

ب-اصطلاحا: هي ما وضعه الله لعباده من تشريعات ونظم تشمل العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة في مجالاتها المختلفة،لتنظيم علاقة الناس بربهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض،بهدف تحقيق سعادتهم الدنيوية والأخروية[6]

---

(1) ينظر محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تقديم حاتم بوسمة، لا.ط (دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني،2011) ص: 253.

(2) أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي، لا.ط (مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999)، ص:13.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة "شرع"، ج8 (ط2،دار صادر بيروت،د.ت) ص:175 وما بعدها. وأحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، ج1 من جزأين في مجلد واحد (لا.ط، دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت) ص:310، وينظر عمر سليمان الأشقر، خصائص الشريعة الإسلامية(ط1، مكتبة الفلاح،الكويت 1982)،ص:11.

(4) المراجع نفسها.

(5) ينظر عمر سليمان الأشقر، المرجع نفسه.

(6) الدكتور عمر سليمان الأشقر، المرجع نفسه.والدكتور مناع القطان، التشريع والفقه في الإسلام تاريخا ومنهجا (ط5، (ط5، مكتبة وهبة، القاهرة،2001) ص:13.

والعلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي واضحة؛لأنّ الشريعة مصدرها هو الله عز وجل،أي هو الذي ابتدأها وسنّها،وهي أيضا شريعة واضحة بيّنة ظاهرة،ومن وَرَدها فهو كمن يرد نهرا متدفقا فياضا،فيشرب منه ماء صافيا عذبا دون عناء ولا كثير تعب،كما لا يخشى الشارب من نقصان ولا تكدّر للماء[1].

قال القرطبي:«الشِّرعة والشريعة: الطريقة الظاهرة التي يُتوصّل بها إلى النجاة»[2]

ثالثا–تعريف مقاصد الشريعة:

بعد تعريف كل من لفظتي:"المقاصد" و"الشريعة"في اللغة والاصطلاح جاء الدور الآن على تعريف المركب الإضافي، وهو "**مقاصد الشريعة**".

ولا بد قبل ذكر التعريفات الخاصة بمقاصد الشريعة من الإشارة إلى أن العلماء المتقدمين لم يعرّفوا المقاصد الشرعية تعريفا واضحا محددا،حتى الذين عُرف عنهم الاهتمام بها والكتابة فيها بشكل مستفيض،كالإمام أبي حامد الغزالي وأبي إسحاق الشاطبي رحمهما الله تعالى وغيرهما.

فالغزالي عندما تعرض إلى مقاصد الشريعة قال:«ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ...»[3].فهو لم يتطرق –كما يظهر–إلى تعريف المقاصد،بل عَمَد إلى حصر مقاصد الشرع فيما ذكره.

وكذلك الأمر بالنسبة للشاطبي، رغم عنايته الفائقة بالمقاصد إلا أنه لم يضع تعريفا محددا لها،بل ذكر أنواعها وفصّلها في كتابه الشهير:"الموافقات". ولعل ما أدى بالشاطبي إلى تجنب تعريف المقاصد–كما ذكر بعض العلماء–هو كونه اعتبر الأمر واضحا،إضافة إلى أنه قد وضع كتابه "الموافقات"للراسخين في علوم الشريعة.وقد صرح بذلك في الكتاب المذكور بقوله:«لا يُسمح للناظر في هذا الكتاب أن ينظر فيه نظر مفيد أو مستفيد حتى يكون ريّانَ من علم

---

(1) ينظر عمر سليمان الأشقر، المرجع السابق، ص:12.

(2) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ج6(ط2، دار الكتب المصرية،1384هـ/1964م)،ص:211.

(3) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، المستصفى،تح:محمد عبد السلام عبد الشافي (ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،1993)ص:174.

الشريعة أصولِها وفروعها،منقولها ومعقولها،غير مخلد إلى التقليد أو التعصب للمذهب؛فإنه إن هكذا خيف عليه أن ينقلب عليه ما أُودع فيه فتنة بالعرض،وإن كان حكمةً بالذات.»[1]

ومن كان هذا شأنه فهو غير محتاج إلى إعطائه تعريفا لمقاصد الشريعة،خاصة وأن المصطلح مشتهر قبل الشاطبي بقرون[2] .

وهكذا الأمر أيضا بالنسبة للعلماء المتقدمين الآخرين؛حيث لم يتعرضوا لوضع حدّ واضح للمقاصد الشرعية.

أما المتأخرون من العلماء فقد عُنُوا بوضع تعاريف خاصة لعلم المقاصد وحاولوا إيجاد حد واضح له،يبين معناه ويسهم في فهم المقصود منه.

ومن هؤلاء نجد:الشيخ محمد الطاهر بن عاشور،والشيخ علال الفاسي،والدكتور أحمد الريسوني:

1- عرّفها الشيخ العلامة ابن عاشور بقوله:«**مقاصد التشريع العامة هي:المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها،بحيث لا تختصّ ملاحظتها بالكَوْن في نوع خاص من أحكام الشريعة**»[3]

وهذا التعريف لابن عاشور رحمه الله يصح أن يكون تعريفا لمقاصد الشريعة بمعناها العام الشامل كما صرح هو بذلك؛حيث إنه عرّف بعد ذلك مقاصد الشريعة الخاصة بقوله:«وهي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة، كي لا يعود سعيهم في مصالحهم الخاصة بإبطال ما أُسِّس لهم ...»[4]

2- أما الشيخ علاّل الفاسي فقد عرّفها بقوله:«المراد بمقاصد الشريعة:الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها»[5]

---

(1) أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، ج1 (لا.ط،دار الفكر،بيروت،د.ت)ص:53.

(2) ينظر أحمد الريسوني،نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي،تقديم طه جابر العلواني(ط4،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مقره الرئيسي في الو.م.أ وله مكاتب في العديد من دول العالم خاصة الدول الإسلامية، 1995)ص:17.

(3) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص:82.

(4) المرجع نفسه، ص: 253.

(5) علال الفاسي،مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها (ط5،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1993) ص:07

3- كما عرفها الدكتور أحمد الريسوني فقال:«إنّ مقاصد الشريعة هي الغايات التي وُضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد»[1]

ويظهر من خلال هذه التعريفات وغيرها أن مقاصد الشريعة هي: المعاني والمصالح الملحوظة للشارع من خلال تشريعاته للأحكام المختلفة،سواء كانت مصالح كلية أم جزئية،عامة أم خاصة. ومن أمثلة ذلك:مصلحة الجهاد التي هي رد العدوان والدفاع عن الأمة، ومصلحة الزواج المتمثلة في عمارة الأرض وتحصين النفس،إلى غير ذلك من الحالات الكثيرة والمتنوعة،التي تتّحد كلها في مصلحة واحدة كبرى وغاية كلية هي تحقيق العبودية لله تعالى،وإصلاح المخلوق وإسعاده في الدنيا والآخرة.

– المسألة الثانية: أقسام المقاصد الشرعيّة

تنقسم المقاصد الشرعية إل أقسام عديدة باعتبارات مختلفة، كالآتي:

أولا–باعتبار قوتها في ذاتها: تنقسم بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:ضرورية وحاجية وتحسينية:

أ–المقاصد الضرورية:وهي التي تقوم عليها حياة الناس،ويتوقف عليها وجودهم في الدنيا،بحيث إذا فقدت عمّت فيهم الفوضى وتعرض وجودهم للخطر أو الدمار. أو كما عرّفها العلامة محمد الطاهر بن عاشور:«التي تكون الأمة بمجموعها وآحادها في ضرورة إلى تحصيلها،بحيث لا يستقيم النظام باختلالها،فإذا انخرمت تؤول حالة الأمة إلى فساد وتلاش...»[2]

والراجح عند الأصوليين أن الضروريات منحصرة في خمسة أمور هي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال [3]

ولرعاية هذه المقاصد الخمسة وحمايتها من كل ما يُلحق بها ضررا بأي وجه من الوجوه،وضع الشارع أحكاما تحفظها من جهة الوجود، وأخرى تحفظها من جهة العدم.والمقصود بجهة الوجود هو تحقق هذه المصالح وإقامة أركانها وتوفير المنافع منها.والمقصود بجهة العدم هو حفظ هذه المصالح وصيانتها من الضياع أو الإخلال بها[4]، وذلك كالآتي:

---

(1) أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص:18

(2) ينظر ابن عاشور، المرجع السابق، ص: 134.

(3) ينظر الشاطبي ،الموافقات، ج2، ص:04

(4) المرجع نفسه.

1- حفظ الدين: ويكون بأمرين:

-الأول:مراعاة حفظه من جانب الوجود،بإقامة أركانه وتثبيت قواعده، فشُرعت لذلك أصول العبادات كالإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج ...

-الثاني:مراعاة حفظه من جانب العدم،وذلك بما يدرأ عنه الاختلال الواقع أو المتوقع، ولهذا شرع الجهاد لمحاربة المعتدين وحماية المستضعفين ورفع الظلم عنهم،وشرعت العقوبات غير المقدرة لإيقاف فساد المبتدعة في الدين[1]

2-حفظ النفس: ويكون أيضا من جانبين:

-الأول:حفظها من جهة الوجود،كتناول الطعام والشراب،واتخاذ الملبس والمسكن،مما لابد منه في بقاء الحياة وصون الأجساد.

-الثاني:حفظها من جهة العدم،بإقامة العقوبات على من سولت له نفسه المساس بها بقتل أو جرح أو غير ذلك،ولهذا شرع القصاص.قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ** ...﴾ [سورة البقرة: 178]. [2]

3-حفظ العقل: ويكون بأمرين كذلك:

-الأول:حفظه من جهة الوجود؛بتوجيهه إلى النظر والتفكير والاستنباط.كقوله عز وجل:﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ** ﴾ [سورة الغاشية:17]. وكقوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَعۡقِلُونَ** ...﴾ [سورة يس:68]، وقوله: ﴿ **فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ** ...﴾ [سورة الحشر:02]

-الثاني:حفظه من جهة العدم،وذلك بتحريم كل ما يخل به كالمسكرات،وإقامة الحدود عليها،ولهذا شرع حد شرب الخمر وغيره[3]

4-حفظ النسل: ويكون من جانبين:

---

(1) ينظر أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص: 146.

(2) ينظر محمد سعيد رمضان البوطي،ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية (لا.ط، مؤسسة الرسالة، دمشق، د.ت) ص:119

(3) المرجع نفسه.

-الأول: حفظه من جانب الوجود،بإباحة ما فُطرت عليه النفس البشرية من الميل إلى الغريزة الجنسية، فشُرع الزواج والنفقة وأحكام الحضانة وغيرها.

-الثاني: حفظه من جانب العدم،بمحاربة ومعاقبة من يعمل على اختلاط الأنساب وإضعافها وانحلالها؛ولذلك شرع حد الزنى والقذف وغير ذلك[1]

5-حفظ المال: وذلك من جهتين:

الأولى:حفظه من جهة الوجود، بإباحة اكتسابه وتنميته تنمية شرعية،ولذلك شرعت طرق كسب المال وإنفاقه وإنمائه.

الثانية:من جهة العدم، بتحريم ما يؤدي إلى إتلافه أو إنفاقه بوجوه غير مشروعة؛فحرمت السرقة والرشوة والغش،وأقيم على ذلك عقوبات مقدرة وغير مقدرة[2] .قال الله تعالى: ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾** ﴾ [سورة المائدة: 38]

ب-المقاصد الحاجيّة: وهي تلي المقاصد الضرورية،فتأتي في المرتبة الثانية،وهي مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي غالبا إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب،فإذا لم تُراع دخل على المكلفين-على الجملة-الحرج والمشقة،ولكن لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة[3].

والمراد أيضا بالمقاصد هو ما تحتاج إليه الأمة لاقتناء مصالحها وانتظام أمورها على وجه حسن، وعند عدم مراعاته لا يفسد النظام، ولكنه يكون على حالة غير منتظمة،فلذلك كان لا يبلغ مرتبة الضروري[4] ،لكنها تساعد على صيانة المصالح الضرورية وتثبيتها.وتجري الحاجيات في العبادات والمعاملات والجنايات على ما وُجد في الضروريات من حفظ الكليات الخمس[5].

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق، ص:120

(3) ينظر الشاطبي، الموافقات ج 2،ص: 04

(4) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: 140

(5) ينظر الشاطبي، الموافقات، ج2،ص: 05

ففي الدين تظهر في التيمم والقصر والجمع،وفي الصوم بالفطر في حالة المرض أو السفر.وبالنسبة للنفس يظهر في الرخصة للمضطر في أكل الميتة ومشروعية المواساة بالزكاة، وإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال[1]

أما بالنسبة للعقل فيظهر ذلك في رفع الحرج عن المكره.وأما من جانب حفظ النسل فشرعت المهور والطلاق،وشرط وجوب الشهود على موجب حد الزنى وغير ذلك.أما في المال فمثل البيوع والإجارات والمعاملات المالية المختلفة والترخيص في الغرر اليسير والجهالة البسيطة[2].

ج-المقاصد التحسينية: وهي ما لايرجع إلى ضرورة ولا إلى حاجة، ولكن يقع موقع التحسين والتزيين والتيسير للمزايا والزوائد،ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات[3]، وقيل:«هي تقرير الناس على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم»[4]، وعرفها الشاطبي بقوله:«هي الأخذ بما يليق من محاسن العادات،وتجنب الأحوال المدنسات التي تألفها العقول الراجحات،ويجمع ذلك كله قسم مكارم الأخلاق»[5] .

والتحسينيات تقع في مرتبة الكمال للمرتبتين اللتين قبلها من الضروريات والحاجيات،أي أنها مكملة وحامية وخادمة لها. وهي تجري أيضا في العبادات والمعاملات والعادات والجنايات،كما رأينا في الضروريات والحاجيات من حفظ للكليات الخمس[6]

فمن الأمثلة على التحسينيات في الدين: الطهارة وأخذ الزينة من اللباس، وبالنسبة إلى النفس فالكرفق والإحسان وآداب الأكل والشرب.أما بالنسبة للعقل فكمباعدة مجالس الخمر ومجانبة أهلها.وبالنسبة للنسل فكالإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان.أما المثال فمثاله:أخذه من غير تطلع إليه،والتورع في اكتسابه وإنفاقه،والبذل منه للمحتاجين[7] .

---

(1) المصدر السابق، ج4، ص:16 وما بعدها.

(2) المصدر السابق. ومحمد سعيد رمضان البوطي، ضوابط المصلحة،ص: 120

(3) الغزالي، المستصفى، ص: 175

(4) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المحصول في علم أصول الفقه،تح الدكتور طه جابر فياض العلواني،ج5 (ط3، مؤسسة الرسالة،بيروت، 1418هـ/1997م) ص: 160.

(5) الشاطبي، الموافقات،ج2، ص: 05.

(6) المصدر نفسه، ص: 14

(7) المصدر نفسه، ج4 ص: 17 وما بعدها.

ثانيا–تقسيم المقاصد باعتبار العموم والخصوص:

تنقسم بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام: 1) عامة ، 2) خاصة ، 3) جزئية:

أ–المقاصد العامة: وهي–كما سبق–المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها،بحيث لا تختص ملاحظتها بكونها في نوع خاص من أحكام الشريعة،فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة،والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها[1].

ومن أمثلتها:

1– عبادة الله تعالى،وقد وردت عدة آيات دالة على ذلك،منها قوله عز وجل: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الذاريات: 56].فالمقصد الأساسي من وضع الشريعة هو: إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبد لله اضطرارا[2]

2– عمارة الأرض،الواردة في مثل قوله تعالى:﴿ **...هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ ...** ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة هود: 61].

3– خلافة الإنسان في الأرض، كقوله تعالى: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ ...** ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة البقرة: 30] [3] .

والأمثلة على المقاصد العامة كثيرة:كالعدل والمساواة والحقوق الاجتماعية والاقتصاية وغيرها.

ب–المقاصد الخاصة: وهي الأهداف والمعاني والغايات الخاصة بباب معين من أبواب الشريعة أو بأبواب متجانسة منها، أو مجال معين من مجالاتها.ومن أمثلتها مقاصد العبادات والمعاملات وأحكام الجنايات وما يتفرع عنها، كمقاصد الصلاة والزكاة والصوم والبيع والإجارة والحدود [4].

[4].

(1) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: 147 وما بعدها.

(2) ينظر الشاطبي، الموافقات، ج2، ص:114.

(3) الشاطبي،المصدر نفسه، ص:02، وابن عاشور،المرجع السابق، ص:147 وما بعدها. وينظر الدكتور يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد (ط3، المكتب الإسلامي،بيروت، 1418هـ/1998م) ص: 171 وما بعدها.

(4) ينظر ابن عاشور، المرجع السابق، ص:253. وأحمد الريسوني، نظرية المقاصد، ص:20.

ج-المقاصد الجزئية: وهي كل ما يقصده الشارع من كل حكم شرعي،من إيجاب أو تحريم أو ندب أو كراهة أو إباحة أو شرط أو سبب[1]

ويمكن العثور على أمثلة عديدة منها مبثوثة في كتاب:"قواعد الأحكام" للعز بن عبد السلام وغيره.

ثالثا-باعتبار القطع والظن:

قسّم العلامة ابن عاشور المقاصد باعتبار القطع والظن إلى:1-قطعيّة، 2- ظنّيّة 3- وهميّة:[2]

أ- المقاصد القطعية: وهي التي دلت عليها أدلة من قبيل النص الذي لا يحتمل تأويلا.أو التي تواترت على إثباتها طائفة كبيرة من الأدلة والنصوص؛كالأمن وإقرار العدل وحفظ الأعراض وصيانة الأموال.

ب-المقاصد الظنية: وهي التي تكون دون مرتبة القطع واليقين،والتي اختلفت فيها الآراء والأنظار.ومثالها:مقصد سد الذرائع؛كسدّ الذريعة لإفساد العقل،والذي نأخذ منه تحريم القليل من الخمر،وتحريم النبيذ الذي لا يغلب إفضاؤه،فهذه الدلالة ظنية.

ج- المقاصد الوهمية: وهي التي يُتَخيّل فيها صلاح وخير، لكن عند التأمل والنظر يتبين أنها ضرر وشر،مثل:تناول المخدرات والتدخين، وتعاطي الربا وغير ذلك.

رابعا-باعتبار حظ المكلف فيها وعدمه:

تنقسم المقاصد بهذا الاعتبار إلى: 1-مقاصد أصلية ، 2-مقاصد تابعة :

أ-المقاصد الأصلية: وهي المقاصد التي لا حظَّ فيها للمكلف،وهي الضرويات الخمس المرعيّة في كل ملة،والتي بها القيام بمصالح عامة مطلقة.وهي أيضا على ضربين: عينية وكفائية؛فالعينية واجبة على مكلف في نفسه،فهو مأمو بحفظ دينه ونفسه وعقله ونسله وماله.وأما الكفائية فهي القيام بالمصالح العامة على العموم لجميع المكلفين لتستقيم الأحوال العامة، كالولايات العامة (الإمارة، القضاء، قيادة الجند ...) وذلك حماية لحقوق الناس من التعرض للفساد. [3]

---

(1) الدكتور وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ج2 (ط1،دار الفكر،بيروت،1986) ص: 1056

(2) ينظر في هذا التقسيم محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: 149 وما بعدها.

(3) ينظر في هذا التقسيم الشاطبي ، الموافقات، ج2، ص:120 وما بعدها.

لكن تجدر الإشارة إلى أنه عند تدقيق النظر في هذه التقسيمات يتبين أنها تعود كلها إلى مقاصد ثلاثة: **ضرورية وحاجية وتحسينية**.

المطلب الثاني

مفهوم الحضارة والتحضر

فهم الشيء فرع عن تصوره كما هو معلوم ومقرر، وكما سبقت الإشارة إليه. ولذلك لا بد من تحديد معنى دقيق لمصطلحي: "الحضارة" و "التحضر" قبل الخوض في المسائل المتعلقة بهما. وسأقوم بالتطرق إلى هذا الموضوع من جانبين: أولهما مفهوم الحضارة، وثانيهما مفهوم التحضر

-المسألة الأولى: مفهوم الحضارة

أ-لغة: الحضارة، بفتح الحاء وكسرها: هي الإقامة في الحضر،قال القطامي: [1]

ومن تكن الحضارة أعجبته * فأيّ رجال بادية ترانا**

والحضارة ضد البداوة،وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني.كما تدل على مظاهر الرقي العلمي والفني والاجتماعي في الحضر.والحاضرة خلاف البادية،وهي المدن والقرى والريف. والحضَر خلاف البدو، والحاضر ضد البادي [2] .وفي الحديث النبوي الشريف:«**لا يبع حاضر لبادٍ**»[3] .

ب-اصطلاحا: المعنى الاصطلاحي للحضارة هو غير المعنى اللغوي، وإن كان بينهما صلة.ويعتبر مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم صعوبة في تحديد المعنى المراد منه؛وذلك بفعل التطور الدلالي الذي حظي به عبر تاريخ الحضارة نفسها. ولعل من أهم أسباب الاختلاف في

---

(1) هو عمر بن شييم بن عمرو بن عباد بن بكر، أحد شعراء بني تغلب بن وائل في العصر الأموي، وفي ضبط اسمه ولقبه بعض الاختلاف، يكنى أبا سعيد وأبا غنم، لقب بالقطامي "وهو الصقر أو الشاهين" لبيت شعري قاله، توفي سنة:101هـ. راجع الموسوعة العربية (www.arab-ency.com/ar/).

(2) ينظر ابن منظور لسان العرب، ج4،ص:197. ومجمع اللغة العربية بالقاهرة "مجموعة من المؤلفين" ، المعجم الوسيط، ج1 (لا.ط، دار الدعوة، الإسكندرية، د.ت) ص:181.

(3) أخرجه مسلم، الجامع الصحيح ، تح محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البيوع ،باب تحريم بيع الحاضر للبادي، ج3 (لا.ط،دار إحياء التراث العربي،بيروت،د.ت) ص: 1157، حديث رقم:1520.

تعريفها هو ما يرجع إلى الخلفية الفكرية لصاحب كل تعريف،والمنظور الذي يقدم من خلاله تعريفه، وكذلك تكوينه العلمي وزاده المعرفي.فالمؤرخ والأنثربولوجي وعالم الاجتماع واللغوي وعالم النفس، كلٌّ يعرّفها انطلاقا من أرضيته الفلسفية ومنظوره المعرفي الذي ينظم أفكاره.

ولذلك فقد وردت تعريفات عديدة للحضارة، متشابهة ومتقاربة المعنى،ومن تلك التعريفات:

1- تعريف ابن خلدون: حيث توسّع في الكلام عن الحضارة والتفريق بينها وبين البداوة.فهو يرى:«أنّ الناس حين تخطوا في كسبهم للمعاش ما هو ضروري وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه،دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنّق فيها،وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضّر.ثم تزيد حالة الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة بأنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك،ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غايتها، فيتخذون القصور والمنازل،ويُجرون فيها المياه ويُعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون من استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون،وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان»[1].

فالحضارة في الاصطلاح إذن يراد بها:التعبير عن طراز العيش الذي يسود مجتمعا من المجتمعات، أي هوية ذلك المجتمع، وعلى حد تعبير **رالف لنتون**[2] :«فالمجتمع هو عبارة عن مجموعة منظمة من الأفراد، والحضارة هي مجموعة منظمة من الاستجابات التي تعلمها الأفراد وأصبحت من مميزات مجتمع معين»[3] .

ويقول الشيخ أحمد عبد الرحيم السائح في تعريف الحضارة:«**لفظ الحضارة في مفهومه الحديث ومفهومه العالمي المعاصر قد أصبح أكثر اتساعا مما كان يدل عليه في مفهومه**

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح:عبد الله محمد درويش،ج1 (ط1،دار يعرب،دمشق،2004) ، ص : 244/243.

(2) رالف لنتون (1893-1953)،عالم أمريكي مختص في مجال الأنثروبولوجيا، وله مساهمات هامة في هذا المجال. والأنثروبولوجيا (Anthropology) هي علم الإنسان،أي الدراسة العلمية للإنسان في الماضي والحاضر.

(3) رالف لنتون، شجرة الحضارة،ترجمة أحمد فخري، ج1(لا.ط مطابع الكتاب العربي بمصر،د.ت)،ص:65.

اللغوي التقليدي ...وإذا كان أصل الحضارة الإقامة في الحضر،فإنّ المعاجم اللغوية الحديثة ترى أن الحضارة هي: الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي والاقتصادي في الحضر... وبعبارة أخرى أكثر شمولا: هي الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر ومجموع الحياة في أنماطها المادية والمعنوية،...ولهذا كانت الحضارة هي الخطة العريضة–كمًّا وكيفًا–التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم، ومنها الحضارات القديمة،والحضارات الحديثة والمعاصرة، ومنها الأطوار الحضارية الكبرى،التي تُصوّر انتقال الإنسان أو الجماعات من مرحلة إلى مرحلة»[1] .

ومن التعريفات الواردة للحضارة ما ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن حبنّكة الميداني الدمشقي في تحليله لمعنى الحضارة بقوله:«إذا كانت الحضارة تعني في أصل اللغة إقامة مجموعة من الناس في الحضر،أي في مواطن العمران،سواء كانت مدنا أم حواضر أم قرى،فإن معناها قد توسع عند المؤرخين والباحثين الاجتماعيين حتى صار شاملا لجميع أنواع التقدم والرقي الإنسانيين،لأنهما لا يزدهران إلا عند المستقرين في مواطن العمران»[2]

والذي أميل إليه من هذه التعريفات هو تعريف أحمد عبد الرحيم السائح؛لأنه أشمل في تعريف الحضارة وأوضح في بيان المراد بها.

ومما سبق يتضح أن الحضارة هي جملة ما يقوم به وينتجه شعب من الشعوب من أنشطة في جميع مجالات الحياة:السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية والفنية وغيرها. أو هي مدى ما توصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي من عمران وعلوم وفنون.

ويجدر التنبيه هنا إلى أنه توجد في اللغة العربية عدة مصطلحات مقاربة لمصطلح "الحضارة"، مثل "**ثقافة**"و"**مدنية**"ويقابلها في الإنجليزية على سبيل المثال:(civilization,culture)، والذين اشتغلوا بالترجمة لم يلتزموا نمطا واحدا،فمرةً ترجموا (culture) بالثقافة،ومرة بالحضارة،

---

(1) ينظر أحمد عبد الرحيم السائح ، الحضارة الإسلامية ، العدد الثالث ، ط10، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، نوفمبر 1977

(2) عبد الرحمن بن حسن حبنّكة الميداني الدمشقي،الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، ج1(ط1،دار القلم،دمشق، 1998) ص:19.

وفعلوا الأمر نفسه في كلمة (civilization)؛فمرة ترجمت بالثقافة وأخرى بالحضارة،وهكذا ففي الوقت الذي تزاحم فيه هذان المصطلحان في اللغات الأوروبية نجد في الترجمات والمؤلفات العربية ثلاثة مصطلحات تقوم بهذا الدور: **الحضارة** و **المدنية** و **الثقافة**[1] .

يقول جورج حداد[2] —وهو يضع العبارات الثلاثة مقترنة في محاولة لتعريفها:«إن كلمة حضارة أو مدنية مشتقة أساسا من الحضر ومن حياة المدينة، وهناك كلمات باللغة الأجنبية لها مفهوم يقرب من مفهوم الحضارة وهي: (culture)،بالإنجليزية،أو (kultur) بالألمانية،وترجمتها بالعربية هي:"**الثقافة**"،ومعناها أوسع،ويفهم منها الطريقة التي بموجبها يعيش الشعب ويفكر، وكثيرا ما تستعمل كلمة(culture) للدلالة على الحضارة والمدنية في اللغات الأجنبية،ولذلك قلنا: إن كلمة ثقافة لا تكفي لترجمة معناها»[3] .

فالمصطلح (culture) غالبا ما تُرجم باستخدام كلمة الثقافة،وهي الترجمة التي تراعي المعنى اللغوي لا الاصطلاحي،إلا أنّ كثيرا من الكتاب المعاصرين يرون أن كلمة:"ثقافة"لا تفي بمعنى هذا المصطلح الغربي-كما مر في كلام جورج حداد-،لذلك ترجمت إلى العربية بكلمة:**حضارة**. ومن هذا كله يستفاد أن الحضارة-سواء اعتبرناها ترجمة لمصطلح (civilization) أو لمصطلح (culture) الأوربيتين ووفق المعنى الذي استقرتا عليه-تدل تاريخا وحاضرا على أن لكل مجتمع طريقة في العيش تميزه عن سائر المجتمعات،وتجعل منه جماعة بشرية ذات شخصية معينة ولون متميز وهوية خاصة.هذه الطريقة من العيش التي تميز مجتمعا عن آخر هي ما يُعبَّر عنه بالحضارة.لذلك لا بد من أجل الوصول إلى تعريف الحضارة من معرفة العوامل التي تجعل للمجتمع طريقته الخاصة في العيش، وتميزه عن سائر المجتمعات[4] .

-المسألة الثانية:مفهوم التحضر:

---

(1) ينظر جورج حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة (مطبعة الجامعة السورية، 1958) ص:18/17.

(2) جورج حداد (1934-27 يونيو 2009)، كاتب وشاعر وصحفي أردني.

(3) جورج حداد ، المرجع السابق.

(4) ينظر حمزة حسن سليمان صالح، أسس الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم،مركز تفسير للدراسات القرآنية (www.tafsir.net/article/4797)، تاريخ النشر: 2014/09/10. تاريخ الاطلاع: 2017/04/03

أ–لغة: لفظ التحضر مشتق من الفعل:حضر، ويُقصد به الوجود والحضور الدائم والاستقرار والإقامة في المدن أوالقرى،وهذا خلاف البداوة التي تركن دائما للحركة والتنقل بحسب توفر الماء والعشب[1]. وهو مصدر الفعل "تَحَضَّرَ"،يتحضّر،فهو متحضّر.وتَحَضُّر البدوي أو الريفي:تشبّهه بأهل الحضر،أي تمدنه.كما يقال:تحضّر،إذا سكن المدينة واستقرّ فيها وتخلّق بأخلاق أهلها وعاداتهم.وشخص متحضّر:مهذب يعرف أدب السلوك[2].

ب–اصطلاحا:يُقصد بمفهوم التحضر (urbanisation) انتقال مكان الإقامة من الريف إلى المدينة والاستقرار فيها،وما يترتب عن ذلك من تغيّر في خصائص السكان الريفيين على مستوى عاداتهم الاجتماعية وتقاليدهم.

وبذلك ينطوي مفهوم التحضر على أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية ترافق عملية الانتقال أو تليها بعد حين. فالتحضر بالمعنى السكاني(الديمغرافي) هو انتقال مكان الإقامة من الأرياف إلى المدن.ولكنه بالمعنى الاجتماعي:اكتساب عادات وتقاليد اجتماعية جديدة تظهر في السلوك والممارسات اليومية،كاختيار الفرد لشروط السكن الذي يقيم فيه،ونماذج الألبسة التي يرتديها، وحتى المهن التي يمارسها.وهو بالمعنى الثقافي يعني:اكتساب الفرد مجموعة من القيم والمعايير التي يلجأ إليها في الحكم على أنماط السلوك والأشياء المحيطة به[3] .

أما التحضر –بوصفه عملية اجتماعية سكانية– فيقصد به اتساع المدن على حساب الأرياف المحيطة بها.فنمو الوظائف الاقتصادية والاجتماعية للمدينة يجعلها قادرة على استيعاب أعداد إضافية من السكان،ومن القوة العاملة،فتتسع دائرتها وتنمو وظائفها الاقتصادية والاجتماعية من جديد وتزيد قدرتها على الاستيعاب،فتتطور الفعاليات الصناعية والتجارية والحكومية حتى تتجاوز وظائفُ المدينة حدودَها المكانية لتغطي المناطق الريفية المحيطة بها،فتصبح مظاهر النمو السكاني مركَّزة في المدن برغم أن معدلات النمو الطبيعية قد تكون في الأرياف بنسبة أعلى[4].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص: 197.

(2)معجم المعاني الجامع،معنى كلمة"تحضر"،موقع إلكتروني(www.almaany.com/ar/dict)،2017/03/16

(3) الموسوعة العربية، إلكترونية، المجلد السادس،قسم الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد،ص:112 (www.arab-ency.com/ar).

(4) المرجع نفسه.

المطلب الثالث

معنى التحضر البشري

التحضر البشري لا يعني الانتقال إلى المدن فقط؛لأن ذلك وحده عبارة عن تغير وليس تحضرا، فالتحضر هو اكتساب القيم الحضرية وما يرتبط بها من أنماط السلوك الحضري،إلى أن تنتهي هذه العملية إلى ما يسمى بالتكيف الاجتماعي.

ويختلف التحضر عن مصطلح "**الحضرية**"؛لأنّ هذا الأخير يعني اكتساب الإنسان وهو في الريف لأساليب الحضر دون الانتقال إلى المدن[1] .

لكن هل يكفي اكتساب أنماط السلوك الحضري في الحكم بتحقق التحضر البشري؟طبعا:لا؛ لأن كثيرا من السلوكات الحضرية منافية لعوامل وشروط التحضر التي تشهد لها العقول السليمة وتقرها المجتمعات بمختلف أجناسها ومشاربها،ودعا العلماء والأدباء والمصلحون إلى إفشائها والعمل بمقتضاها.

فالتحضر-كحالة ذهنية-توجه الإنسان وترقّي سلوكياته، وهو ما آمن به رواد النهضة الأوائل، كالشيخ رفاعة الطهطاوي والوزير خير الدين التونسي والشيخ محمد عبده وغيرهم، ممن حاولوا اكتشاف سر تقدم الغرب وتخلف الشرق،ولكنهم أجمعوا على إيمانهم العميق بأن الإسلام وقيَمه يشكلان مصدر التمدن والتحضر،وأن الحضارات تقوم على فضائل دينية،أو ما يُعرف في الغرب بـ:(civic virtues)، وأنّ التعليم وتهذيب الأخلاق هما المدخل المباشر للتحضر[2] .

القيم المدنية في الغرب -حاليا-هي خلطة تاريخية من المبادئ المسيحية واليهودية والإنسانية تمّ استخلاصها على فترات ممتدة لتتماشى مع المنهجية العلمانية ومتطلبات التمدن،وعلى رأس هذه القيم:احترام قيمة الإنسان،أو ما يُعرف بـ(حقوق الإنسان)والغربي خاصة،والرغبة في السيطرة على الطبيعة وكشف أسرارها،واحترام قيمة الوقت وإتقان

---

(1) مجلة المعرفة، إلكترونية، (تحضر/www.marefa.org).

(2) عماد الدين شاهين، الحضارة التي بقيت والتحضر الذي ذهب،مقال منشور في جريدة الشروق المصرية،نشر العدد في يوم الإربعاء: 21 نوفمبر2012.

العمل،وتقويم الأعمال بنتائجها،وروح المغامرة والاستكشاف ،والاعتماد على المنهج التجريبي في اكتساب الحقائق، وغيرها من القيم التي أصبحت تشكل ذهنية وسلوك كثير من الغربيين[1].

وللشيخ محمد عبده مقالات عديدة في التحضر،وفي فضائل المدنية،تدل على إدراكه ما للدين والعلم والتحضر من صلة وثيقة.لذلك رأى أن تمدن الأمم يرتكز على قوانين أخلاقية؛لأن الأعمال ثمرات للأخلاق،ويأتي على رأسها:**العدل والمساواة والشورى**.وأن القرآن الكريم يحتوي على كل الفضائل المدنية،وواجب المسلمين هو إحياء هذه القيم وإعمال العقل وفهم الدين فهما صحيحا والنظر بتمعن في نصوص الوحي، وفي كتاب الطبيعة (العلم)[2] .

كما أنّ للشيخ رفاعة الطهطاوي إشارات وآراء في موضوع التحضر،من بينها:أن حب الوطن هو أساس الفضائل السياسية،وأن التحضر يقوم على القيم الدينية والإنسانية، وأن التحضر أيضا يؤسَّس على النشاط الاقتصادي،وأن الثروة هي نتاج فضائل الأعمال، ومفتاح كل ذلك هو التربية والتعليم الذي يبني الشخصية القويمة ويهذب الأخلاق ...إلخ [3] .

ويرتكز التحضر على منظومة أخلاقية متكاملة وعلى قيم عليا مرتبطة الصلة بقيم المجتمع ذاته، حتى يمكن أن تستقر وتقوى جذورها بين الناس. وهذه القيم هي: [4]

1-كرامة الإنسان: وهي قيمة عليا تعصم كل البشر من أي انتهاك لحقوقهم الإنسانية والجسدية والاقتصادية والاجتماعية،والحفاظ على هذه الكرامة يكفل للإنسان احتياجاته الأساسية من تعليم ومسكن ومأكل ومشرب وملبس،وحقه في التنقل والتجمع والرعاية الصحية وغيرها من الحقوق الإنسانية .

2-الحرية والحق في الاختيار: فالعقل والحرية هما مناط التكليف وتحمل المسؤولية،وتكريم الإنسان يستلزم احترام وحماية عقله وحقه في ممارسة اختياراته، والإيمان بقدرة العقل-كما أراده الله-على تمييز الخبيث من الطيب.قال الله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ...** ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء: 70].

---

(1) المرجع نفسه

(2) المرجع السابق

(3) المرجع السابق

(4) ينظر في هذه القيم المرجع السابق.

3–حماية التنوع والاختلاف: فعلى الرغم من الأصل الواحد للإنسانية إلا أنّ الله تعالى أراد لها أن تتنوع أشكالها وألوانها وألسنتها وثقافاتها، وهذا التعدد يعني فيما يعنيه الاختلاف في المعتقدات والمذاهب والآراء.

4–التسامح: وهو ضرورة لازمة وطبيعية لإقرار التعدد؛ فالقبول بالتنوع والاختلاف يستوجب التسامح والتعايش مع المختلف،وذلك لما جاءت به الشريعة الإسلامية من الدعوة إلى التعارف بين البشر،والمحافظة على التنوع الثقافي والإنساني الذي جعله الله آية من آياته، حيث قال عزّ من قائل:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الروم:22].

5–العدل والقسط والإحسان: وكلها قيم كونية ومركزية للتحضر واجبة التطبيق بحق على كافة البشر،حتى مع المخالفين والحاقدين.

وتتجاوز هذه المنظومة الأخلاقية المواعظ العابرة إلى التطبيقات العملية لكثير من المفاهيم الملتبسة على البعض حاليا،مثل:حقوق الإنسان،والحريات العامة والخاصة،والمواطنة،والديمقراطية، ونظرتنا إلى العالم والآخر المغاير لنا، وأخلاقيات السلم والحرب وغيرها.

ويحتاج تأسيس هذه المنظومة إلى منهج علمي جديد في التعليم والتربية ورؤية مبدعة في فهم وتعليم الشريعة ومقاصدها؛لكي نسترجع التحضر الذي فقدناه[1].

لكن تجدر الإشارة –للأسف– إلى أن بعض المجتمعات الإسلامية أخذت مفهوم التحضر بشكل خاطئ،وارتبطت به سنوات طويلة حتى أصبح الجميع ينظر إليه كجزء من حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فكثير من أفراد هذه المجتمعات لا يعلم معنى التحضر وما أنماطه، وما دوافعه ومقوماته، وما هي نتائجه؟

إن كثيرا من تلك المجتمعات غيرت من سلوكياتها وعاداتها وثقافاتها وادعت التحضر،ولكنها لم تساير التحضر الذي ينهض بها إلى الرقي، بل سارت مع التبعية والتقليد؛لأن هناك حواجز بينها وبين مسمى "التحضر".والسبب أنه لا توجد توعية حضارية؛ولأنّ هناك فئة من الناس تعتبر التحضر انسلاخا من العادات والقيم التي كانت

(1) ينظر المرجع السابق

تعيشها،وذلك لانبهارها بالشعارات والمظاهر البرّاقة التي سار فيها أدعياء الحداثة والتحضر الخاطئ، ولكنها لا تعلم بأنه ليس من التحضر في شيء، وأنها لا تملك من هذا المسمى إلا الاسم الذي أطلقته على نفسها ظلما وعدوانا.

المبحث الثاني

أركان وخصائص الحضارة وأبعادها المقاصدية

بعد التعريف بالمصطلحات المتعلقة بالحقل المفاهيمي للبحث، وبعد بيان معنى الحضارة والمقومات الحقيقية للتحضر البشري، لا مناص من التطرق إلى الأركان التي تقوم عليها الحضارة وأبرز الخصائص التي تتميز بها، إضافة إلى القيام بمعالجة مقاصدية لموضوع التحضر البشري، ومدى تلاؤمه وتماشيه مع المقاصد العامة للشريعة الإسلامية. ولذلك فقد تضمن هذا المبحث المطالب الآتية:

المطلب الأول- أركان الحضارة

المطلب الثاني- خصائص التحضر البشري

المطلب الثالث- الأبعاد المقاصدية للتحضر البشري

المطلب الأول

أركان الحضارة

يرى الأستاذ مالك بن نبي[1] بأن العناصر المكونة للحضارة تتلخص في ثلاثة أمور معيارية متآلفة هي: الإنسان، والتراب، والوقت[2].

لكنه بعد ذلك يؤكد على عنصر رابع يربط ويمزج بين هذه العناصر الثلاثة، وهو ما أطلق عليه مرةً: **الأخلاق**، وتارة يسميه: **الفكرة الدينية**، وأخرى: **القيم الإسلامية**.حيث جاء في كتابه "شروط النهضة":«كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية الآتية:

ناتج حضاري= إنسان + تراب + وقت. ففي المصباح مثلا يوجد الإنسان خلف العملية الصناعية التي يعتبر المصباح ثمرتَها،والتراب في عناصره من موصل وعازل، والوقت مناط يبرز في جميع العمليات البيولوجية والتكنولوجية ... فإذا ما درسنا هذه المنتجات حسب طريقة الجمع المستخدمة في الحساب فسننتهي حتما إلى ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية: حضارة= إنسان+ تراب+وقت»[3] .

والمقصود بمصطلح:"تراب" في كلام ابن نبي هو:المادة، أي الأرض بما احتوت عليه من إمكانات وثروات،كما أن المراد بالوقت هو الزمن الذي تحتاج إليه كل المنجزات الحضارية، سواء المادية منها أم المعنوية.

يقول ابن نبي :«ونحن حين نتكلم عن التراب لا نبحث في خصائصه وطبيعته،فليس هذا البحث من موضوع الكتاب،ولكننا نتكلم عنه من حيث قيمته الاجتماعية،وهذه القيمة

---

(1) مالك بن نبي (1905-1973) مفكر جزائري له إسهامات عديدة في فنون علمية مختلفة، أبرزها وأهمها علم الاجتماع.من أبرز مؤلفاته: شروطك النهضة، مشكلة الثقافة، ميلاد مجتمع، بين الرشاد والتيه...

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة(ط 1،دار الوعي،الجزائر العاصمة،2013)،ص:49

(3) المرجع نفسه

مستمدة من قيمة مالكيه،فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط»[1] .

وهو كلام ذو أهمية بالغة رأيت أن أنقله كله حرفيا نظرا لأهميته.

ويقول بخصوص الوقت:«إننا إذا قسنا الزمن بمقياس الساعات التائهة فالقرن لا يساوي شيئا، بل حتى ألف سنة لا تساوي شيئا، أما إذا قدّرنا الزمن بمقياس تايلور* فإن كل دقيقة لها وزنها، الذي يكون معه للسنوات الخمسين التي مرت على الثورة السوفياتية ثقل هذه الدقائق المنتجة، والتي أتاحت لمجتمع معاصر لنا أن ينتقل من عهد الموجيك* إلى عهد رواد الفضاء في برهة من الزمن جد قصيرة ... إنه ليس من الضروري ولا من الممكن أن يكون لمجتمع فقير المليارات من الذهب كي ينهض،وإنما ينهض بالرصيد الذي لا يستطيع الدهر أن يُنقص من قيمته شيئا، الرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه: **الوقت**»[2]

وقد لاحظتُ أنّ بعض العلماء عبَّر عن هذه العناصر الثلاثة التي ذكرها ابن نبي بمفردات أخرى تحمل –إلى حد كبير–المعنى والمحتوى نفسه، وهذه المفردات هي: **الإنسان** و**الكون** و**الحياة**.

والذي يبدو لي من خلال تحليل هذه المصطلحات أنها متطابقة مع ما ذكره ابن نبي؛ لأن الحياة يقصد بها العمر الذي يتمتع به الإنسان،وهو يحمل نفس دلالة لفظ "الزمن"، كما أن لفظ "الكون" يقصد به المكونات المتنوعة والمختلفة الخاضعة لتسخير الإنسان، وهذا ما قصده ابن نبي من قوله:"التراب"، وهو ما يتضح من خلال تحليله لهذا العنصر.

---

(1) المرجع السابق، ص: 131.

* "مقياس تايلور" هو المسمى: مقياس تايلور للقلق،وهو وسيلة لقياس مستوى القلق بشكل موضوعي لدى الإنسان، عن طريق الأعراض الظاهرة والصريحة التي يعاني منها شخص ما، ولديه درجة عالية في القياس،ويناسب جميع الأعمار، وهو يتكون من 50 عبارة. ينظر منتدى:"**نفساني**" على الشبكة العنكبوتية (www.Nafsany.cc).

* الموجيك هو الفلاح الروسي، والمراد هنا في كلام ابن نبي هو عصر التخلف في روسيا، حيث كانت قبل العهد السوفييتي تعيش على الثروات الفلاحية التي تتحكم فيها عوامل عديدة.

(2) مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه (ط1، دار الفكر، دمشق،2002)،ص:69/68.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى:«إن الحضارة يمكن أن تُعرَّف انطلاقا من هذا الأساس بأنها:ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة»[1]

ثم يقول:«وإذن:فعناصر الحضارة وأركانها الأساسية إنما تتمثل في الكليات الثلاثة: الإنسان، الحياة، الكون»[2]

هذا بالإضافة إلى أننا نجد علماء آخرين اعتبروا الحضارة تتألف من أربعة عناصر،هي: الموارد الاقتصادية،والنظم السياسية، والتقاليد الخُلقية، ومتابعة العلوم والفنون. وعلى رأس هؤلاء المؤرخ "**وول ديورانت**"[3]صاحب كتاب "**قصة الحضارة**"[4]

ولكنّ هذا التقسيم لا يتعارض مع ما سبقه؛لأنّ الكلام في تقسيم وول ديورانت ومن نحا طريقته إنما يتعلق بمعنى:"**المدنية**"،التي تعني الرقي والازدهار الحضاري،وخاصة في جانبه المادي، أما التقسيم الأول –وهو تقسيم مالك بن نبي وغيره– فهو راجع إلى أصل الوجود الحضاري. فتقسيم ديورانت هو كالمحصّلة والنتيجة للتقسيم الأول،ولا تنافي بينهما،إذْ لا وجود للثاني إلا بالأول.

وبما أن البحث هنا ينطلق من التعريف العام والشامل للحضارة، وهو كونها ثمرة للتفاعل بين الإنسان والكون والحياة، أو ما أسماها ابن نبي:(الإنسان،التراب،الوقت)،مع أني أميل–في رأيي المتواضع–إلى التسميات التي ذكرها الدكتور البوطي وغيره؛لأنها أوضح وأدق في الدلالة على المعنى المقصود،كان من الواجب التطرق إلى هذه العناصر بشيءمن التفصيل،وهو كالآتي:

1–الإنسان: وهو أهم العناصر الثلاثة؛إذ هو العنصر الفعال والمؤثر في النشاط الحضاري،وذلك بأمر الله عز وجل.إذ قد خلق المولى تبارك وتعالى الإنسان وكرّمه وجعله خليفة

---

(1) محمد سعيد رمضان البوطي،منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم (ط3،دار الفكر،دمشق،1998) ص:19

(2) المرجع نفسه، ص: 20

(3) وول ديورانت،أو ويليام جيمس ديورانت (1885–1981)،فيلسوف ومؤرخ وكاتب أمريكي، من أشهر مؤلفاته كتاب:"قصة الحضارة"، وهو موسوعة في فلسفة التاريخ تحدث فيه عن قصة جميع الحضارات البشرية حتى القرن 19.

(4) ينظر وول ديورانت،قصة الحضارة، تقديم الدكتور محيي الدين صابر،ترجمة الدكتور زكي نجيب وآخرين، ج1(لا.ط، دار الجيل، بيروت،لبنان،1988)،ص:03.

له في أرضه،قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة البقرة:30].

فالوظيفة التي يضطلع بها الإنسان-في الحقيقة- إنما هي عمارة الأرض بمعناها الشامل العام؛وهي تشمل إقامة مجتمع إنساني سليم،وإشادة حضارة إنسانية شاملة[1]

والصور عديدة فيما يتعلق بعمارة الأرض الرقي الحضاري الذي ينشده الإنسان ويسعى لتحصيله، بل هو مطلوب منه في نهاية المطاف.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني في هذا الصدد:«وبإحصاء صور التقدم والرقي عند الإنسان نستطيع أن نُرجعها إلى الأصناف الثلاثة الآتية:

-الصنف الأول: ما يخدم الجسد ويمتعه من وسائل العيش وأسباب الرفاهية والنعيم، ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدم العمراني والزراعي والصناعي والصحي والأدبي والفني، والتقدم في الإنتاج الحيواني واستخراج كنوز الأرض،والاستفادة من الطاقات المنبثة فيها، وما أشبه ذلك ...

-الصنف الثاني: ما يخدم المجتمع الإنساني،ويكون من الوسائل التي تمنحه سعادة التعاون والإخاء والطمأنينة والرخاء،وتمنحه سيادة النظام والعدل والحق،وانتشار أنواع الخير والفضائل الجماعية، ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدم الاجتماعي،الشامل للنظم الإدارية والحقوقية والمالية والأحوال الشخصية، ويشمل أيضا الأخلاق والتقاليد والعادات الفاضلات وسائر طرق معاملة الناس بعضهم بعضا في علاقاتهم المختلفة،وكل أنواع العلوم والثقافات التي تخدم هذا الصنف.

-الصنف الثالث: ما يأخذ بيد الإنسان فرداً كان أم جماعةً إلى السعادة الخالدة التي تبدأ منذ إدراك الإنسان ذاته والكون من حوله،وتستمر مع نفسه وروحه الخالدتين إلى ما لانهاية له في الوجود الأبدي ... ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدم الفكري القائم على التأملات الحِكمية التي توصل الإنسان إلى معرفة الخالق عز وجل،وسر وجود الإنسان وغايته ومصيره،

(1) ينظر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي،المرجع السابق، ص:25/24.

وواجبه في الحياة الدنيا،وسبل سعادته الأبدية الخالدة،وهي الأمور التي تحمل اسم المعتقدات والواجبات الدينية وسائر التكاليف والآداب الشرعية الإسلامية»[1]

وإذا نظرنا إلى الإنسان في الإسلام نجد أن القرآن الكريم تحدث عنه من زاويتين مختلفتين؛ فمن جهة يصفه بأنّه مخلوق أصله حقير، حيث خُلق من تراب وسلالته من ماء مهين،والشأن فيه –وإن طالت حياته–أن يُردّ إلى أرذل العمر.وهناك آيات عديدة تدل على هذا المعنى،منها قوله عز وجل:﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ ﴾ [سورة الطارق:5–7]. ومن جهة أخرى يتحدث عنه بصفة التكريم والتفضيل،وأنّه مخلوق شرفه الله بالخلافة في الأرض وفضله على سائر المخلوقات.ومن الآيات الدالة على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ... ۝ ﴾ [سورة الإسراء:70]. وهذا ليعلم الإنسان أنه مهما بلغت مرتبته من العلو والرفعة،ومهما اتصف به من الفضائل والصفات النادرة فليس شيء من ذلك نابعا من ذاته،ولا هو اكتسبه بجهده واستقلال طاقته، وإنما ذلك كله فيض من الله عز وجل،أما هو فتكوينه الذاتي ليس إلا من تراب تافه ثم ماء مهين. ثم إنّ رجل الحضارة الإنسانية في الإسلام لا يهون ولا يذل ولا يركن إلى ضعف يجعله ضحية الجبابرة والمتكبرين، كما أنه لا يطغى ولا يستكبر ويجعل نفسه حاكما من دون الله عز وجل[2] .

2–الحياة (الوقت): الوقت ثروة متدفقة يجب أن نحسن استغلالها،وهو قيمة لا تُقوّم بالمال.ويشير مالك بن نبي إلى أهمية الوقت في جل مؤلفاته ويقرنه عادة بالتجارب الناجحة لبعض الدول هنا وهناك في العالم،مثل بعض دول أوربا وآسيا التي قامت باستغلاله وتوظيفه بطريقة منظمة وبشكل جيد نافع. لكن لا نجد –كما يقول ابن نبي–للوقت في العالم الإسلامي حاليا تلك الأهمية التي ينبغي أن يحاط بها؛حيث إنّ الفرد المسلم–بصفة عامة–

(1) عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني،الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، ص:19.

(2) ينظر الدكتور البوطي، المرجع السابق، ص:41 وما بعدها. وعلي بن نايف،الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، ج1، ص:62.

صارت أوقاته مضاعفة على واجباته؛فهو يؤديها في سويعات قلائل،وما تبقّى من وقت يهدره فيما لا ينبغي أن يصرفه فيه.وحال الأمة العربية والإسلامية الآن يدل على ذلك.

يقول ابن نبي:« ولسنا نعرف إلى الآن فكرة الزمن الذي يتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ... وبتحديد فكرة الزمن يتحدد معنى التأثير والإنتاج،وهو معنى الحياة الذي ينقصنا...فالحياة والتاريخ الخاضعان للتوقيت كانا وما يزالان يفوتنا قطارهما، فنحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق وخطوات واسعة لكي نعوّض تأخرنا...»[1] .

فالحياة إذن هي الإطار الزمني الذي يحتاجه الإنسان للاستفادة مما سخره الله له في هذا الكون الفسيح،كي يحقق الرقي والازدهار الحضاري في جميع المجالات.

وعند النظر إلى أهمية ومكانة الحياة(الوقت) في الإسلام نجده قد تحدّث عنها وتعرّض إليها بنظرتين مختلفتين؛فمن جهة وصفها بأنها حياة قصيرة،وأنها ليست إلا جسرا إلى الحياة الآخرة، وأن الحياة الحقيقية هي الحياة الأخرى التي لا نهاية لها،ومما يشير إلى هذا المعنى قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾** ﴾ [سورة العنكبوت:64]،وغيرها من الآيات،وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة وذلك أمر معروف لا داعي للإطالة فيه.

ومن جهة أخرى يتطرق الإسلام إلى أهمية هذه الحياة وقداسة الوقت فيها،وحرمتها رغم قصر مدتها بالنسبة إلى الآخرة،وفي هذا الشأن يقول الله عز وجل: ﴿ **وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ... ﴿٧٧﴾** ﴾ [سورة القصص:77]. ويقول المصطفى ﷺ:«**خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»[2] .ووجه الجمع بين الأمرين هو أن المولى عز وجل جعل اعتبر الدنيا متاع الغرور وأنها ليست إلا أياما معدودات وستنتهي، لكن المطلوب من الإنسان أن يستغل

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، ص: 146.

(2) أخرجه الترمذي في سننه،كتاب الزهد،باب ما جاء في طول العمر للمؤمن،وقال حديث حسن صحيح.ينظر سنن الترمذي،ج4،ص:565 (حديث رقم:2329،ترقيم أحمد محمد شاكر)، كما أخرجه أحمد والنسائي بألفاظ متقاربة.

أوقاتها الثمينة في طاعة ربه وعبادته وامتثال أمره واجتناب نهيه لتحقيق السعادة في دار البقاء، وبذلك يكون قد اتخذ الدنيا مطية و سببا في نجاته وفوزه يوم القيامة.

وهنا نجد الشيخ الميداني يتكلم عن الحياة المثالية للحضارة الإسلامية،ويعقد مقارنة بينها وبين الحضارات السابقة لها فيقول:«كانت الأسس الفكرية عند اليونان الإغريق قائمة على تمجيد العقل فقط،حيث أثمرت لهم خلال قرون علوماً فلسفية ورياضية ونفسية وطبية وفنونا جمالية مختلفة،كما كانت الأسس الفكرية عند الرومان قائمة على تمجيد القوة والرغبة في بسط السلطان الروماني على الشعوب،لذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات علاقة وثيقة بهذه الأسس ...وكانت الأسس الفكرية عند الفرس قائمة على تمجيد اللذة الجسدية والسلطان والقوة الحربية ولذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس...ولما كانت الأسس الفكرية لكل هذه الحضارات غير شاملة لحاجات الحياة كلها لم تستطع حضارتهم أن تعطي الصورة المثلى للحضارة الإنسانية. أما الحضارة الإسلامية فهي الحضارة الوحيدة التي تشتمل أسسها الفكرية والنفسية على حاجات الحياة كلها من مختلف جوانبها؛الجسدية والمادية والفكرية والنفسية والروحية،الفردية والجماعية،وفي جميع مجالات الحياة العلمية والعملية ...»[1].

وبنظرة فاحصة نستطيع أن نستبين أنّ الحضارة الإسلامية تنظر للحياة التي نعيشها على أنها حياة متكاملة الجوانب لا يطغى فيها جانب على آخر،ولا يتجاوز جانب من الجوانب الحدود المسموح بها.

3-الكون: وهو العنصر الثالث من العناصر المكونة للحضارة،وهو لفظ أشمل وأوضح من اللفظ الذي أطلقه ابن نبي رحمه الله،ألا وهو (التراب). والكون هو الحيز المكاني الذي سخره الله تعالى للإنسان وهيّأ له فيه كل أسباب عيشه ووسائل النمو والرقي الحضاري.

لذلك كان على الإنسان التفاعل مع هذا الكون بما فيه من أدوات لصالح الإقلاع الحضاري،وفي النشاطات والاستثمارات التي تؤدي إلى ازدهار حياة البشر ورقي حضارتهم من جميع الجوانب،وذلك سعيا وراء تحقيق سعادة العاجل والآجل.

(1) الميداني، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، ص:31 وما بعدها.

وهذا المعنى موضح في الشريعة الإسلامية بما لا مزيد عليه، لكننا عند النظر في النصوص الشرعية نستشف منها أن ما سخره الله من وسائل وإمكانات في هذا الكون لا توصف بأنها خير أو شر لذاتها بل إنما هي وسائل وأدوات يمكن أن تستعمل في هذا الجانب أو ذاك،وقد وضعها الله عز وجل وسخرها للناس ليختبرهم فيها.

ففي الوقت الذي يحدثنا فيه القرآن عن الكون ويدعونا إلى التأمل في مظاهره والتدبر فيها، وأن كل ما نراه فيه من مظاهر هو مسخر لخدمة الإنسان وتدبير أسباب عيشه وتحقيق شروط الرفاهية،حيث قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ...** ﴾ [سورة الروم:20]، نجده من ناحية أخرى يبيّن لنا أن المظاهر الكونية التي يراها الإنسان من حوله هي مظاهر خدّاعة،وأنها تمثل زينة الحياة الدنيا،والواجب أن يحذر من الانخداع بها والانغماس فيها؛فقال عز من قائل: ﴿ **ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** ﴾ [سورة الكهف:46].وقوله تعالى: ﴿ **وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ ...** ﴾ [سورة الكهف:45].والآيات في هذا المعنى كثيرة.

يقول الميداني:«تقوم الفلسفة الإسلامية بالنسبة إلى الوسائل الكونية على أساس أن جميع ما خلقه الله في الوجود من وسائل سلط أيدي عباده عليها لا توصف لذاتها بأنها خير أو بأنها شر،وإنما هي وسائل يمكن أن تستعمل في الخير، كما يمكن أن تستعمل في الشر،وقد وضعها الله تحت أيدي الناس ليبتليهم فيها؛هل يستعملونها في الخير أم في الشر؟ فالاستعمال الإنساني هو الذي وَجَّهها...»[1] .

ويمكن أن يسأل سائل في هذا الصدد:فما هو وجه التوفيق بين الأمرين؟ أي بين الحث على استغلال ما سخره الله تعالى للإنسان واستثماره فيما ينفع البشر في مختلف جوانب حياتهم،وبين الحث على الحذر من زهرة الدنيا وزخرفها والنهي عن الركون إليها؟ والجواب عن

(1) عبد الرحمن الميداني، المرجع السابق، ص:39. وينظر أيضا الدكتور البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص: 81 وما بعدها.

ذلك يكمن في أن الواجب على الإنسان أن تكون ممارسته لشؤون دنياه وأسباب عيشه واستغلاله لما وضعه الله عز وجل تحت يده من مظاهر كونية بدافع وظيفي فقط،واستشعارا للمسؤولية الملقاة على عاتقه،لا بدافع الحب والتعلق والركون، وفي هذه الحالة لن يفر من الدنيا ولن يتهرب من المسؤوليات المناطة به،لكنه مهما ذاق من حلاوة نعيمها وشاهد من زخرفها وبريقها فلن يميل قلبه إليها ويتعلق بها،بل يبقى فكره وعواطفه مشدودين إلى الدار الآخرة؛ التي فيها الخلود الأبدي،والنعيم السرمدي.

المطلب الثاني

خصائص التحضر البشري

المقصود هنا هو السمات البارزة التي تطبع التحضر لدى الجنس البشري،وذلك بالنظر إلى التحضر بوصفه سلوكا عاما وشاملا وظاهرة تصنف بحسبها الأمم.حيث إنه عند النظر في تاريخ الأمم ونشوء الحضارات ومسار تطورها ورقيها تتجلى لنا مجموعة من الخصائص تميز ظاهرة التحضر لديها، ومن أبرزها ما يأتي:

1-الكسبيّة:وذلك يعني أن التحضر أمر كسبي وليس جِبِلِّيًا(فطريًّا)،وهذا لايتنافى مع كون استعدادات ومهيئات التحضر جبليّة عند الإنسان،لقوله عز وجل: ﴿ **وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا...** ۝ ﴾ [سورة البقرة:31].فمن معانيها هو أن الله علمه أصول العلوم كلها،التي بُنيت الحضارات لاحقا على أساسها.فالتحضر إذن يكتسبه البشر من خلال تفاعلهم مع عناصر الكون التي وضعها المولى تبارك وتعالى تحت تصرفهم وسخرها لخدمتهم[1] .

2-التداوليّة:فوصف "التحضر" ليس مقتصرا على أمة دون أخرى،أو على جنس دون غيره،بل هو دُولة بين المجتمعات الإنسانية،ينتقل بينها بحسب استعدادها وتحصيلها لمقوماته ومقتضياته وقابليتها لهما. فكل أمة استطاعت النهوض ونفض غبار التخلف والانحطاط عنها ستتمكن لا محالة من كسب موقع ودور لها في عملية التحضر،وستتبوأ مكانة بين الأمم المتحضرة.فالتحضر أو التخلف ليس واحدٌ منهما أمراً حتميًّا على أي مجتمع كان.

والدليل هو الواقع، فكم من حضارة عريقة كانت شامخة صامدة أمام كل التحديات انهارت إلى الحضيض وصارت أثراً بعد عيان،وكم من أمة متخلفة ارتقت في مدارج العلم والحضارة والتطور بنهضة أبنائها واستجماعهم لشروط التحضر ومقوماته.ولهذا فادعاء أي مجموعة بشرية الانفراد بالتحضر هو ادّعاء باطل ساقط أمام الشواهد التاريخية التي لا يجادل فيها منصف محترم

---

(1) ينظر الدكتور عبد المجيد النجار،فقه التحضر البشري(ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1999)،ص:19وما بعدها. بالإضافة إلى مقال له تحت عنوان:"معالم المنهج الحضاري في الإسلام"، نُشر في مجلة "ثقافتنا" للدراسات والبحوث،العدد الخامس والعشرون،2010/1431.ومقال للدكتور عبد الرزاق وورقية بعنوان:"التدين والتحضر"،نشر في مجلة "حراء " الإلكترونية، العدد 12 (www.hiramagazine.com).

لعقله؛لأنّ أيّ مجتمع متحضّر قد تدور عليه الدوائر وتضعف مقدراته الحضارية ويعجز أفراده فيؤول بهم الأمر إلى الانسلاخ من ذلك التحضر والتقدم إلى أجل غير مسمى[1] .

3–الاشتراك بين الأمم:ومعنى ذلك أن الحضارة الإنسانية وعملية التحضر هي نتاج لجهود وإسهامات جميع الأمم؛فكل أمة أدلت بدلوها في تشييد صرحها،من خلال علم من العلوم أو فن من الفنون أو اكتشاف أو اختراع أو غير ذلك.

فالحضارة لدى البشر هي نتيجة لتراكم قرون من الناس،ومن مختلف الأجناس،ومن كل بقاع الأرض.وعلى هذا فلا تصحّ دعوى التفرد بالإنجاز الحضاري التي صدرت في بعض مراحل العصر الحديث من طرف بعض مؤرخي الفترة الاستعمارية،والتي بمقتضاها صُنِّفت الأمم إلى صنفين: أمم مبدعة وأخرى مستهلكة متوحشة.

وإذا نظرنا في مذاهب علماء الحضارة وجدنا أنّ أغلبهم متفقون على هذه القاعدة،أي "قاعدة الاشتراك بين الأمم".وقد قالت المستشرقة الألمانية المنصفة "**زيغريد هونكة**"[2] :«بساط الحضارة بساط نسجته وتنسجه أَيْدٍ كثيرة،وكلها تهبه طاقتها،وكلها تستحق الثناء والتقدير»[3][4]

4–التطبّع:فالأمة المتحضرة هي التي اتصفت بأوصاف التحضر حتى تصطبغ بها وتصير طبائع لصيقة بها تميّزها عن غيرها من الأمم المتخلفة حضاريا؛لأن التحضر تنتج عنه طبائع إيجابية مثل: العلم والنظام والنظافة والحوار والمحافظة على البيئة وحسن استعمال الموارد والطبيعية والأمن والعدل والسلام وغير ذلك،فقد تمر القرون الطويلة على أمة وهي ملتزمة بهذه الصفات فتُعرَف بها وتصير علامة ملازمة لها[5] .

---

(1) المراجع السابقة.

(2) زيغريد هونكة (1913–1999م) مستشرقة ألمانية عُرفت بإعجابها بالعرب والمسلمين واللغة العربية، وهي زوجة المستشرق الألماني الكبير الدكتور شولتزا، لها مؤلفات عديدة عن العرب والمسلمين،منها كتابها الشهير:"شمس العرب تسطع على الغرب"،توفيت في هامبورغ (ألمانيا) سنة 1999.ينظر موقع "**التاريخ**" الإلكتروني:(www.altareekh.com)

(3) زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب،راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري (ط8، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة،بيروت،1993)،ص: 14.

(4) ينظر المراجع السابقة لعبد المجيد النجار وعبد الرزاق وورقية.

(5) عبد المجيد النجار، المرجع السابق.وعبد الرزاق وورقية، المرجع السابق.

ونقيض التحضر هو "التخلف"،الذي هو وضع سلبي له خصائص سلبية،فقد ينتج عنه التقهقر والانهيار وفقدان القيم،والجهل والفوضى والظلم والعنف والتدمير ...إلخ. وقد تمر أزمان طويلة على أمة لا تنفك عن هذه السلبيات حتى تُعرَف بها وتلازمها[1] .

ولذلك فالتحضر ليس وليد سنة أو بضع سنوات،بل قد يتطلب الأمر سنوات طويلة وقرونا عديدة لأي مجتمع حتى يتطبّع بخصائص التحضر ويصير سلوكا عاديا،يمارسه بصورة تلقائية دون عنت أو تكلف[2] .

(1) المراجع السابقة.

(2) المراجع السابقة.

المطلب الثالث

الأبعاد المقاصديّة للتحضر البشري

نقصد عند إطلاق لفظ "**التحضر**"مظاهر الرقي والازدهار والتقدم في جميع مجالات الحياة، سواء المادي منها أم المعنوي،وليس ما يفهمه بعض أدعياء الحضارة والحداثة الذين فهموا التحضر فهما معكوسا وبشكل خاطئ،فساروا فيما يقودهم إلى التخلف والتقهقر،سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا؛فاعتقدوا أن التحضر يكمن في مسايرة الحداثة الغربية،وتقليد الغربيين في معيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم،سواء الحسن منها والسيّء. وهذا–طبعًا–لا يمُتُّ إلى التحضر الحقيقي بأيّ صلة.

ذلك لأنّ التحضر الحقيقي ذو منطلق أخلاقي؛أي أنه يجب ألا يكون التطور والرقي على حساب الأخلاق،بتغليب الجانب المادي على الجانب الروحي في ممارسة النشاطات الحضارية، بل من الضروري أن يسير التقدم المادي والروحي جنبا إلى جنب لتحقيق تحضر يُراد له النجاح والاستمرار وإسعاد الإنسان سعادة حقيقية لا وهمية.

فالتحضر إذن ليس هو تكديس المنتجات،ولا المبالغة في إيجاد وسائل تطوير معيشة الإنسان وعوامل رفاهيته،وليس أيضا الازدهار في المجال العلمي والثقافي والعمراني والسياسي والاجتماعي وغيرها من مجالات الحياة فحسب،بل الواجب أن ينضمَّ إلى كل ذلك الجانب الأخلاقي والعنصر الروحي (الديني).فالإنسان متدين بطبعه،ويبحث دوما عن السمو الروحي كبحثه عن الرقي المادي أو أشدّ، لكنه يحتاج إلى تذكير وتوجيه يجلو عنه ضباب الشبهات التي فرضتها عوامل مختلفة في طريق بحثه عن التحضر المنشود[1] .

وهذا ما أقره كبار علماء الحضارة،سواء المسلمين منهم أم غير المسلمين. وهنا نجد الأستاذ مالك بن نبي يؤكد هذا المعنى ويعتبر الأخلاق عنصراً مهمًّا في بناء أي حضارة،وأنّ الدين شرط أساسي ومقوّم رئيسي من مقوماتها،بل هو الفاعل فيها وفي بنائها وتطورها وازدهارها،وهو ما

(1) يستأنس في هذا العنصر بما ذكره الأستاذ مالك بن نبي،شروط النهضة، ص:61 وما بعدها.وكتابه: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين(ط4،دار الفكر،دمشق،1987)،ص:69 وما بعدها.وألبرت أشفيتسر،فلسفة الحضارة (لا.ط، مطبعة مصر، القاهرة،1963)،ص:03 وما بعدها.

أسماه:"**الفكرة الدينية**".التي اعتبرها عاملا أساسيا في الربط بين عناصر الحضارة الثلاثة (الإنسان،التراب،الوقت)[1] .

فهو يقول في هذا المجال:«كلما أوغل المرء في الماضي التاريخي للإنسان في الأحقاب الزاهرة لحضارته،أو في المراحل البدائية لتطوره الاجتماعي وجد سطورا من الفكرة الدينية.ولقد أظهر علم الآثار بقايا آثار خصّصها الإنسان القديم لشعائره الدينية،أيًّا كانت تلك الشعائر. ولقد سارت هندسة البناء من كهوف العبادة في العصر الحجري،إلى عهد المعابد الفخمة جنبا إلى جنب مع الفكرة الدينية التي طبعت قوانين الإنسان وعلومه أيضا،فوُلدت الحضارة في ظل المعابد...ومن هناك كانت تشرق هذه الحضارات لكي تنير العالم،وتزدهر في جامعاته ومعامله، بل لكي تجلي المناقشات السياسية في برلماناته.فقوانين الأمم الحديثة لاهوتية في أساسها،أما ما يُطلقون عليه قانونهم المدني فإنه ديني في جوهره...»[2] .

وإذا انتقلنا إلى علماء الحضارة الغربيين نجد العديد منهم يؤكد على أهمية الأخلاق في مجال التحضر.ومن أبرز هؤلاء المؤرخ الألماني "**ألبرت أشفيتسر**"،الذي اعتبر الأخلاق هي جوهر الحضارة،وأنّ ما عداها من المنجزات الحضارية المادية ما هي إلا ظروف مصاحبة للحضارة لا شأن لها بجوهرها.فيقول في هذا الموضوع:«فلما بحثتُ في ماهية الحضارة وطبيعتها تبيَّنَ لي في ختام المطاف أنّ الحضارة في جوهرها أخلاقية...فإني على يقين من أنّ العناصر الجمالية والتاريخية والاتساع الرائع في معارفنا وقوانا،كل هذا لا يُكَوِّن جوهر الحضارة،وإنما يتوقف هذا الجوهر على الاستعدادات العقلية عند الأفراد والأمم القاطنة في العالم، وما عدا هذا فليس إلا ظروفا مصاحبة لا شأن لها بجوهرها»[3] .

ثم يستطرد القول في بيان أهمية وضرورة التحلي بالأخلاق الحسنة كي يستوفي الإنسان معاني الإنسانية الحقَّة،فيقول:«ذلك أن الإنسان لن تكون له قيمة حقيقية بوصفه شخصية إنسانية إلا من خلال كفاحه ليكون ذا خلق وخلال حسنة.فتَحْت تأثير المعتقدات الأخلاقية

(1) ينظر مالك بن نبي، المرجع نفسه.

(2) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص:69.

(3) ألبرت أشفيتسر، فلسفة الحضارة، ص:03 .

وحدها تكوّنت مختلف العلاقات في المجتمع البشري على نحو يسمح للأفراد والشعوب أن تنمو وتتطور بطريقة مثالية.وإذا أعوز الأساس الأخلاقي تداعت الحضارة»[1] ،أي سقطت.

لذلك فإن الحضارة الغربية المعاصرة،ورغم ما توصلت إليه وحققته من إنجازات مادية هائلة في جميع الميادين،وعلى كل الأصعدة؛ فهيّأت للإنسان من أسباب الرفاهية ومظاهر التنعم ما لم يتهيّأ له في الأزمان السابقة على مر التاريخ،إلا أنها أغفلت الجانب المعنوي الروحي في الإنسان ولم تُعِرْ له اهتماما،أو لم تجعله في سلم أولوياتها في أحسن الأحوال؛فعظمت كل ما هو مادي، وهونت من شأن كل ما هو معنوي،واعتبرت التقدم في إنتاج أكبر كمّ من السلع والخدمات، وإشباع أكبر قدر من اللذات والشهوات.ولهذا فهي تعاني-كما نشاهد في الواقع-من الويلات التي جرّتها إليها حضارتها،حتى صارت تشكل خطرا على أهلها وعلى البشرية جمعاء.

فبسببها كثرت الفتن وعمّ الخوف والاضطراب أرجاء عديدة من العالم،وذاق البشر ألوانا مختلفة من البؤس والشقاء،واختفت القيم والمثل العليا،وانتشر الفساد والأخلاق السيئة وتجسست الأمم بعضها على بعض،كلٌّ يبحث عن مصالحه ولو على حساب الآخرين[2] .

فحضارةٌ بهذه الصفات لا يمكن اعتبارها أبدا تنطوي على تحضرحقيقي؛لأنّها حضارة كبر جسمها وضعفت روحها،وانطفأ نورها وإن بقيت نارها،فأضحت دنيا بلا دين،وعلما بلا إيمان وتمثالا من غير روح[3] .

فالتقدم المادي –إذن- لا يصلح أن يكون مقياسا قيميًّا للتحضر،وإنما المقياس الحقيقي في ذلك هو ما يتحقق للناس من الرقي والازدهار بنوعيه،مع الأمن والاطمئنان والتعاون والتآخي. فكل تقدم احتوى على هذه المعاني فهو تحضر حقيقي،وأما التقدم الذي يجلب معه الخوف والعداوة والفساد الأخلاقي فليس بتحضر في حقيقة الأمر.

فقد يكون هناك مجتمع بسيط في مستوى معيشته وفي مظاهره المادية،لكنّه التزم بالقوانين والضوابط والقيم التي توفر الأمن والطمأنينة والمحبة والتعاون لأفراده،فهو في حقيقة التحضر أرقى من مجتمع يبلغ درجة عالية من التطور المعيشي ويتمتع بالرقي المادي ووسائل الرفاهية

(1) المرجع السابق، ص:04

(2) ينظر الدكتور يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، ص:03 وما بعدها.

(3) المرجع نفسه، ص:04.

والترف،لكنه يعاني تحت وطأة الظلم والقهر والاستبداد والخوف.ويمكن لنا أن نقارن في ذلك بين المجتمع العربي عند البعثة المحمدية وبين المجتمع الروماني والفارسي في الفترة ذاتها [1] .

يقول الدكتور عبد المجيدالنجّار:«وفي هذا النطاق يحِقّ لنا أن نتساءل:هل تعتبر الأهرامات –وهي المنجزة المادية العظيمة –مقياسًا قيميًّا للحضارة الفرعونية،والحال أنها شُيِّدت على أكتاف العبيد المضطهدين الذي سُحق منهم الآلاف تحت الأحجار وأسواط الجلاّدين في سبيل إشباع أُبّهة الفرعونية؟ وكذلك:هل تعتبر عمارة عظيمة البناء فخمة الطراز مقياسا قيميا لتحضر مجتمع مّا إذا كانت قد شيدت بقصد أن تكون سجنا يحبس فيه الأحرار ويُسامون فيه سوء العذاب؟» [2]

وانطلاقا مما سبق يمكننا القول بأنّ التحضر الحقيقي هو التطور والرقي في مجالات حياة الناس المختلفة،من الناحيتين المادية والمعنوية(الروحيّة)،دون تفريط في أحدهما.

وهو بهذا المعنى لا تنكره الشريعة الإسلامية،ولايتنافى مع تعاليمها وأحكامها، بل إنها تدعو إلى الأخذ به والسير على منواله،وتحث على اتخاذ الأسباب التي تمكّن للمسلمين في الأرض وتجعل منهم أمّة قائدة لا مقُودة،متبوعة لا تابعة،مرهوبة الجانب؛حتى لا يستصغر شأنَها الأعداء وليحتمي تحت جناحها الأصدقاء.

فالإسلام كلّف الإنسان بإنجاز مَهَمّة في الحياة، وهي المَهمّة التي من أجلها خُلق،ألا وهي مهمة الخلافة في الأرض،وهو ما يحمل معناه قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** ... ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة البقرة:30].والمراد به الإنسان.والخلافة في الأرض تعني التعمير فيها بنوعين من التعمير:أولهما معنوي،يتمثل في ترقي الإنسان في سلم الإنسانية فردا وجماعة.وثانيهما مادي،وذلك باستثمار المقدّرات الكونية والانتفاع بها على أسس علمية، وفق ما بُنيت عليه من القوانين والسنن.وذلك كله وفق منهج محدد،هو منهج العبادة الذي

(1) ينظر عبد المجيد النجار،فقه التحضر الإسلامي،ص:23 وما بعدها.

(2) المرجع نفسه، ص24. ويُراجَع بكر ياسين إبراهيم، الحضارة الإسلامية العائدة،ص: 21-23.

دلت عليه النصوص الشرعية من كتاب وسنة،ومنها قول المولى عز وجل: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الذاريات:56][1].

واستنادا إلى أن الشريعة جاءت لتحقيق مصالح الناس وإسعادهم في الدنيا والآخرة،فإن تشريعاتها قد تضمنت تنظيم حياة البشر في كل المجالات،سواء في علاقة الإنسان بربه، أو في علاقته بأهله، أو علاقته بأقاربه وجيرانه و إخوانه، أو بمن يماثلونه في الإنسانية،وضبطت تصرفاته وحركاته بما يعود عليه وعلى المجتمع بالنفع الدنيوي والأخروي. ومن تلك التشريعات: أحكام العبادات وما تبعها من طهارة ونظافة، وأحكام المعاملات المختلفة،والأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية،وأحكام الإمامة والسياسة الشرعية والقضاء والسلم والحرب وغير ذلك، وكلها تهدف إلى إقامة صرح حضاري عالٍ للمجتمع الإنساني،قائم على أصلب دعائم العلم وأدق أسس الحضارة[2]

فالإسلام ليس دين عبادة فقط،كما يتوهمه بعض الناس،بل هو منهج حياة متكامل يسعى أيضا إلى تمكين الإنسان من أداء الوظيفة المنوطة به،وهي عمارة الأرض بمعناها الشامل، ومن مقتضياتها إنشاء مجتمع سليم وحضارة إنسانية شاملة.ثم إن العبادة التي ألزم الإسلام بها أتباعه إنما هي تزكية للنفس البشرية وتطهيرها من صفاتها السيئة،وليست تزكية النفس إلا شرطا أساسيا وجوهريا لتحمُّل الإنسان مسؤولياته الحضارية بجد وصدق[3] .

وهذا المعنى هو الذي فهمه المسلمون الأوائل؛حيث عرفوا المهمّة التي كلفوا بها، وأدركوا الوظيفة التي حُمِّلوها، فبمجرّد استقرارهم بالمدينة المنورة شرعوا في القيام بإنجازها،وبمرور الأجيال وتراكم المكتسبات المادية والمعنوية انتهى بهم الأمر إلى ترك إرث حضاري عظيم في جميع الميادين،هذا الإرث هو ما أطلق عليه ابن خُلدون اسم:"**العمران**"،وعمل في مقدمته الشهيرة على شرحه وبيان قوانينه ومظاهره،وليس هذا العمران الذي تكلم فيه ابن خلدون إلا ما عُرف فيما بعد باسم **الحضارة**، التي إذا ما نُسبت إلى الإسلام سميت بـ:"**الحضارة الإسلامية**"[4] .

---

(1) ينظر عبد المجيد النجار، معالم المنهج الحضاري في الإسلام، ص:147 ومابعدها.

(2) ينظر عبد المجيد النجار، فقه التحضر البشري، ص: 51 وما بعدها.

(3) ينظر الدكتور البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن،ص:24 وما بعدها.

(4) عبد المجيد النجار، معالم المنهج الحضاري في الإسلام، ص:148.

ومما سبق يتضح لنا جليا بأن الشريعة تقصد إلى التحضر البشري،ولا تُعارض استفادة واستثمار المسلم لما خلقه الله تعالى من مظاهر كونية فيما يفيده ويفيد مجتمعه وأمته والإنسانية جمعاء،مستشعرا في ذلك الوظيفة الملقاة على عاتقه، وهي الخلافة في الأرض،ومستحضرا لمعنى عبوديته لله عز وجل. فلا منافاة أبدا بين التدينّ والتحضر الحقيقي،كما سبقت الإشارة إليه.

ولا بأس بضرب بعض الأمثلة يتضح بها المقصود أكثر، فأقول: إنه بإمكان الفرد المسلم أن يكتسب العلوم والمعارف والخِبْرات المختلفة،وأن يستفيد منها في الجوانب الحياتية المتنوعة، كعلوم الأرض وعلم الفلك،وعلم التكنولوجيا ووسائل الاتصال الحديثة،كما يمكنه الاستفادة من علم الطب والصيدلة والعلوم الاجتماعية؛كعلم النفس وعلوم التربية وغير ذلك،وتوظيفها كلها مع مراعاة القصد إلى نفع الإنسانية وألا تشتمل على أي وجه من وجوه الإضرار بالناس وإلحاق الوبال والتعاسة بهم، وحينها تكون هذه الممارسات الحضارية كلها طاعة وعبادة لله سبحانه وتعالى.

المبحث الثالث

دور مقاصد الشريعة في البناء الحضاري الإنساني

ممّا لا شك فيه أن الشريعة الإسلامية بتعاليمها السمحة ومقاصدها النبيلة تحمل الخير- كل الخير- للبشرية جمعاء،وتتعلق بها مصالحها في العاجل والآجل.كما أن الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي تشتمل أسسها الفكرية على حاجات الحياة كلها من مختلف الجوانب:الجسدية والنفسية والروحية والمادية. وقد تحدّث القرآن الكريم –وهو أعظم مصدر للتشريع على الإطلاق وأهم مصادر المعرفة التي عرفتها البشرية-عن مختلف أقسام المعرفة، سواء منها الاجتماعية أم الاقتصادية أم السياسية أم الحضارية أم غيرها.

ولكن قبل الكلام عن الأدوار التي قامت بها المقاصد الشرعية في بناء حضارة البشر، آثرتُ أن أبين صلة مقاصد الشريعة بالبناء الحضاري الإنساني، ثم الكلام عن أهم خصائص الحضارة الإسلامية ودور المقاصد في تفعيلها،ليأتي الدور فيما بعد على بيان أهم أوجه مساهمة مقاصد الشريعة في بناء الحضارة الإنسانية. لذلك فقد احتوى هذا المبحث المطالب الثلاثة الآتية:

-**المطلب الأول**: صلة مقاصد الشريعة بالبناء الحضاري الإنساني

-**المطلب الثاني**: دور مقاصد الشريعة في تفعيل خصائص الحضارة الإسلامية

-**المطلب الثالث**: أهم أوجه مساهمة مقاصد الشريعة في بناء الحضارة الإنسانية.

المطلب الأول

صلة مقاصد الشريعة بالبناء الحضاري الإنساني

سبقت الإشارة إلى أن الشريعة تهدف إلى تحقيق مصالح العباد في الدارين،فاعتبرت كل ما يجلب مصلحة حقيقية للإنسان أمرا مشروعا،وحثت على المحافظة عليه،وكلَّ ما يجلب مفسدةً حقيقية غير مشروع، فحظرته ونهت عن ارتكابه.

وعند النظر في المقاصد العامة للشريعة الإسلامية وكذا مقاصدها الخاصة نجد أنّها في أرقى درجات السلم الحضاري الذي سبق شرحه.ذلك لأن رقيَّ أيّ تشريع ودرجة تقدمه وتطوره يكون بمدى ما يحققه للناس من معانٍ وغايات سامية،مثل النماء والازدهار والرخاء والأمن والطمأنينة والتعاون والمحبّة وغيرها من الغايات والأهداف التي يسعى إليها الجنس البشري.

فالإنسان هو الركيزة الأساسية في أي بناء حضاري،والمقاصد الشرعية هي أسمى ما عرفه الإنسان على مدى التاريخ؛من حيث الحرص الشديد على تحقيق تلك الأهداف والغايات للبشر.فهي قد شملت مصالح الإنسانية في الدنيا والآخرة، وغيرها من التشريعات إنما اتجهت إلى المنافع الدنيوية،وركّزت على البناء الحضاري المادي دون التفات أو دون تخصيص العناية اللازمة للغاية الكبرى والهدف الأسمى الذي قصدت إليه الشريعة الإسلامية،ألا وهو السعي وراء نيل مرضاة الله تعالى،للفوز في اليوم الآخر وتحقيق السعادة الأبدية.

فإذا أردنا أن نضع مقياسا لدرجة الازدهار الحضاري للتشريع ونجعل هذا المقياس هو مدى تحقيقه لمصالح الناس وتمكينهم من الوصول إلى السعادة والنمو والرخاء،فلا يشُك عاقل أنّ المقاصد التي لحظها الشارع الحكيم في تشريعاته هي في أعلى وأرقى درجات هذا المقياس؛لأنها تهدف إلى جعْل تصرفات المكلف كلها محققة لمصالح الإنسانية،وفي سبيل تحضرها وتقدمها من جميع الجوانب المادية والروحية.

فمقصود الشرع-كما سبق- هو حفظ دين الناس وأنفسهم وعقولهم وأنسابهم وأعراضهم وأموالهم،وغير ذلك من المقاصد الكلية والجزئية؛فكل ما يحقق المحافظة على هذه الكليات ويحميها فهو قصْدٌ للشارع،وكل ما يؤدي إلى الإضرار أو الإخلال بأحد هذه العناصر فهو مفسدة وينهى الشارع عنه ويحظره ويرتب العقاب عنه،حتى يبتعد عنه المكلفون.وبذلك تسود

الفضيلة والأمن والأخلاق الحسنة،وتتطور العلوم والثقافات والإنجازات العمرانية والرقي الحضاري بكل أنواعه:الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، ويتمكن الناس من الالتفات إلى الغاية الكبرى التي خُلقوا من أجلها،وهي عبادة الله تعالى وتحقيق متطلبات الاستخلاف التي كلفهم بها،وإعمار الأرض وإصلاحها بمختلف وجوه الإصلاح المشروعة؛وبذلك يُحصّلون سعادة الدنيا والآخرة، وهذه هي غاية الغايات لأي بناء حضاري[1] .

وأودّ هنا أن أنقل كلاما رائعا للدكتور مصطفى السباعي،يوضح من خلاله المقاييس التي يُقاس بها مدى تطور أي حضارة،ويبين المكانة التي تحتلها التي تحتلها بين الحضارات،فيقول: «وتكاد لا تخلو أمة من تسجيل بعض الصفحات في تاريخ الحضارة،غير أن ما تمتاز به حضارة عن حضارة إنّما هو قوة الأسس التي تقوم عليها،والتأثير الكبير الذي يكون لها،والخير العميم الذي يصيب الإنسانية من قيامها.فكلما كانت الحضارة عالمية في رسالتها،إنسانية في نزعتها، خُلُقيّة في اتجاهاتها،واقعية في مبادئها،كانت أخلد في التاريخ على الزمن وأجدر بالتكريم... وقبل الحديث عن روائع حضارتنا نريد أن نبيّن دورها العظيم في تاريخ التقدم الإنساني،ومدى ما قدمته في ميدان العقيدة والعلم والخلق والحِكم والأدب والفن من أياد خالدة على الإنسانية في مختلف شعوبها وأقطارها»[2] .

ولهذا فكل معاني السمو الحضاري ومظاهر الفلسفة الحضارية التي يتغنى بها علماء الحضارات المختلفة اشتملت عليها شريعتنا الغرّاء،مثل:مقصد الترقي في جميع جوانب الحياة، ومقصد المحافظة على البيئة،واستثمار المقدرات التي حواها الكون،وحماية ورعاية حقوق الإنسان والعمل على ترقية تفكيره وتطوير سبل معيشته، إلى غير ذلك من المعاني والمظاهر.

وخلاصة القول هي أن الأسرار والحكم والغايات التي راعاها الشرع الحنيف من خلال تشريعاته المختلفة تهدف إلى بناء صرح حضاري إنساني شامخ خالد بخلود هذه الشريعة الغراء، التي تستمد تعاليمها وأحكامها من العليم الحكيم الذي لا تخفى عليه خافية،ويعلم ما يصلح بخلقه،والطريق الذي يسعدون به في دنياهم وأخراهم.

---

(1) ينظر عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني،الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها،ص:19 وما بعدها،وص:23 وما بعدها.والدكتور مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا (ط1،دار ابن حزم،بيروت لبنان،2010)،ص: 61 وما بعدها.

(2) الدكتور مصطفى السباعي، المرجع نفسه.

المطلب الثاني

دور مقاصد الشريعة في تفعيل خصائص الحضارة الإسلامية

تحتل الحضارة الإسلامية مكانة رفيعة بين الحضارات التي عرفها تاريخ البشرية،وهي من أطول الحضارات العالمية عمرا وأعظمها أثرا في الحضارة الإنسانية.وإنّ الحديث عن الحضارة الإسلامية هو حديث عن القيم الإنسانية الكبرى التي تحمل في طياتها معاني الخير المادي والمعنوي كلها.

ولهذه الحضارة مقوماتها البارزة وخصائصها الواضحة،التي تشكل منها وحدة شخصية تامة ذات معالم مستقلة عن غيرها في أساس الحضارة ومبادئها وغايتها،وإنْ وُجد قدر مشترَك بينها وبين الحضارات الأخرى.فأسسها هي التوحيد والفكر والعلم والعمل والروح واحترام العقل وتكريم الإنسان وعمارة الأرض،أي ما يشمل جميع جوانب حياة البشر.وقد تفوقت على غيرها من الحضارات الأخرى بما تملكه من قوة روح الجهاد والاجتهاد والإنصاف والعدل والتسامح مع المخالف وحب الخير ونشر العلوم للعالم أجمع،ولذلك فهي مرشحة لأن تقود البشرية بحكم ما تملكه من مقومات عظيمة[1] .

وقبل الحديث عن الخصائص التي تتميز بها الحضارة الإسلامية وبيان دور مقاصد الشريعة في تفعيلها لا بد من تحديد مفهوم لهذه الحضارة، وبيان المعنى المراد بهذا المصطلح. فقد عرفت الحضارة الإسلامية تعريفات عديدة، أبرزها ما يأتي:

1- هي نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وآراء وأعمال وأخلاق في حياته الفردية أو العائلية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية،وهي مجموعة المناهج التي قرّرها الله سبحانه وتعالى لجميع هذه الجوانب[2] .

---

(1) ينظر الدكتور مصطفى السباعي، المرجع نفسه،ص:62.وعبد العزيز بن عثمان التويجري،خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل(ط2 ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، الرباط ،2015)ص:10و14وما بعدها. والقرضاوي ،الإسلام حضارة الغد، ص: 176 وما بعدها.

(2) أبو الأعلى المودودي، الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها، ص:288، ينظر موقع"**التاريخ**" الإلكتروني،الدكتور أحمد عبد الحميد عبد الحق، الحضارة الإسلامية مفهومها وخصائصهاوسماتها. (www.altareekh.com/article)

2- الحضارة الإسلامية هي نتاج لتفاعل ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام،سواء إيمانا وتصديقا واعتقادا أم انتماء وولاء وانتسابا،وهي خلاصة لتلاقح هذه الثقافات والحضارات التي كانت قائمة في المناطق التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية،ولانصهارها في بوتقة المبادئ والقيم والمثل التي جاء بها الإسلام هداية للناس كافة[1] .

فهي نشاط فكري إنساني تمت صياغته في إطار القيم الروحية والأخلاقية المستمدة من العقيدة الإسلامية[2] .

وبالنظر إلى المعاني السابقة فهي تُعَدّ إرثا مشتركا بين جميع الشعوب والأمم التي انضوت تحت لواء الإسلام وشاركت في بنائها وأسهمت في عطائها،وهي الأمم التي كوّنت وشائج الأمة الإسلامية وأوجدت نسيجها المُحْكَم[3] .

ولقد اعترف عدد هائل من المفكرين والباحثين من المسلمين وغيرهم بأنّ الحضارة الإسلامية عديمة النظير،متميزة عن غيرها في الجوهر والمضمون،وأرجعَ هؤلاء ذلك التميز والتفرد عن غيرها من حضارات الأمم إلى المقومات والخصائص التي حازتها دون غيرها، والتي كان لمقاصد الشريعة الدور الأبرز في وجودها وانتشارها وتفعيلها بين أبناء هذه الحضارة،ومن وافقهم في منهجهم.

ولنذكر الآن أبرز خصائص الحضارة الإسلامية، وهي كالآتي:

1-حضارة إيمانية:حيث إنها انبثقت من العقيدة الإسلامية،فاستوعبت مضامينها وتشرّبت مبادئها واصطبغت بصبغتها.فهي حضارة التوحيد،انطلقت من الإيمان بالله الواحد الأحد،مبدع السماوات والأرض،خالق الإنسان والمخلوقات جميعا.هي حضارة من صنع البشر نعم،لكنّ منطلقاتها إيمانية ومرجعيتها دينية؛حيث كان الدين أقوى الدوافع إلى قيامها وإبداعها وازدهارها،فهي إذن ربانية المصدر[4] .

---

(1) عبد العزيز بن عثمان التويجري، المرجع السابق، ص:14

(2) الدكتور إسماعيل أحمد ياغي،أثر الحضارة الإسلامية في الغرب(ط1،مكتبة العبيكان،الرياض1997)،ص:14.

(3) عبد العزيز بن عثمان التويجري، المرجع السابق، ص:15.

(4) الدكتور مصطفى السباعي،المرجع السابق، ص:62.

2–حضارة إنسانية عالمية:فمن أبرز خصائص الحضارة الإسلامية أنها إنسانية النزعة والهدف،عالمية الأفق والرسالة.فالقرآن الكريم أعلن وحدة النوع الإنساني رغم تنوع أعراقه ومنابته ومواطنه،فيقول المولى عز وجل: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣** ﴾ [سورة الحجرات:13].

إنّ القرآن حين أعلن هذه الوحدة الإنسانية العالمية على صعيد الحق والخير والكرامة جعل حضارته عِقْداً تنتظم فيه جميع العبقريات للشعوب والأمم التي دخلت الإسلام،ولهذا كانت كل حضارة تستطيع أن تفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد وأمة واحدة،إلا الحضارة الإسلامية فإنها تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم والشعوب،والذين قدمت بهم الحضارة الإسلامية إلى الإنسانية أروع نتائج الفكر البشري السليم.

لقد تشكلت هذه الحضارة لتتعامل مع الإنسان ذاته،فتستجيب لطموحاته وحاجياته في توازن تام وفي اتساق كامل وإعراض شديد عن أي حاجز عنصري يفرق بين الناس،حتى لو كان ذلك باسم الدين.وبهذه السمة أضحت الحضارة الإسلامية تجسيدا واقعيا لعالمية الإسلام ورسالته،باعتباره دينا عالميا لكل البشر[1] .

3–حضارةُ وسطيّةٍ وتوازن:فقد وازنت الحضارة الإسلامية بين مختلف الثنائيات التي عانى منها الإنسان لعدة قرون،فالموازنة بين المتقابلات في سائر الاتجاهات وعلى مختلف المستويات صفة قررها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ... ١٤٣** ﴾ [سورة البقرة:143].وبهذه السّمة استطاعت الحضارة الإسلامية أن تجمع بين الوحي والجود،والمادة والروح،والوحدة والتنوع،والدنيا والآخرة[2].

فوازنت بين الجانب الروحي والمادي في اعتدال ووسطية؛فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وهي إذْ جمعت بين هذين الجانبين ووازنت بينهما قد أدركت طبيعة الإنسان واستعداداته؛ فالجانب الروحي مطالبه التي ينبغي أن يراعيها المكلف في بناء حياته دون أن يدفعه ذلك إلى

(1) المرجع السابق، ص: 64.

(2) القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، ص:141 وما بعدها.

التواكل أو الاستسلام وعدم الاكتراث بالحياة والعمل.كما أنّ الجانب المادي له احتياجاته التي ينبغي رعايتُها دون إسراف أو تقصير[1] .

وقد ظهر ذلك في الانسجام التام الحاصل بين الإنسان والكون بأسره؛فلا ينفر من المدنية، ولا يُعرِض عن الوسائل والمنجزات المادية،بل يُسهم في تحصيلها وتوظيفها لتحقيق مهمته على الأرض.ومن هنا كان الاهتمام بالجانب المادي والإنجازات المادية من أهم مقومات خلافة الإنسان في الأرض،من أجل عمارتها والإسهام في تشكيل حضارتها[2] .

كما وازنت أيضا بين العلم والإيمان؛فتناولت العلم بدافع فطري ذاتي،باعتباره طريقا إلى الإيمان والدين،وجعلت العلم أساس الإيمان،ووضعته بعد الوحي مصدراً للمعرفة التي هي أساس الحضارة ورقيها،على نحو ما جاء في أول ما نزل من القرآن الكريم:"**اقرأ**".وبهذا صار للعلم مفهوم حضاري إيماني،وصارت العلوم المختلفة طريقا للإيمان،فكان الارتباط بين المعرفة العقلية والدين،وعلم الطبيعة وعلوم الشريعة والعقيدة ارتباطَ تفاعل وتمازج ومحاولة لصياغة حضارة متوازنة متكاملة[3] .

وعلى هذا لم يقع العلماء المسلمون فريسةً للتفريق بين العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية،وإنما جعلوهما يلتقيان على نحو من التكامل والتوازن؛فلا خطر على العلم من الدين،ولا خوف من تأثير علوم الدنيا على تعاليم الدين.ولذلك ظهر عدد كبير من علماء المسلمين جمعوا بين علوم الشريعة وعلوم الطبيعة،مثل الكندي(توفي 260هـ/873م) الذي جمع بين الفلسفة والمنطق والحساب والفلك والهندسة والسياسة والطب والفقه وأصول العقيدة.وكذلك الفارابي والرازي والبيروني وابن النفيس وابن رشد وابن الطفيل وغيرهم كثير[4] .

4-الشمول:وهذه الخصيصة نجدها واضحة في عناية الشريعة بكل شؤون الحياة،سواء ما تعلق منها بالأنظمة السياسة أم الاجتماعية أم الاقتصادية أم القضائية أم الأخلاقية،أم غيرها.

---

(1) القرضاوي، المرجع نفسه. وعبد العزيز بن عثمان التويجري، المرجع السابق، ص:17.

(2) القرضاوي، المرجع نفسه.

(3) القرضاوي، المرجع نفسه، ص: 143 وما بعدها. ومصطفى السباعي،من روائع حضارتنا،ص:66.

(4) رابطة الحوار الديني للوحدة(موقع إلكتروني)،الحضارة المفهوم والمصطلح (alhiwaraldini.com/home/4966-2)

وقد كان لهذا الشمول تأثيره العظيم في بناء الحضارة الإسلامية على أسس قوية،على نحو نجد فيه تفصيلا دقيقا لكل جزئيات الحياة،ولكل ما يجري فيها من أحداث،وما يستلزم ذلك من أحكام مفصلة.

فأحكام العقيدة تناولت كل مسائل الإيمان والتوحيد،إضافة إلى المسائل الخُلُقية،فحثت على الحسن منها كالصبر والصدق والأمانة والإخلاص وغيرها،ونهت بل زجرت عن السّيّء منها،كالكذب والخيانة والنفاق والرياء والغش وغيرها من الصفات المذمومة.

ومن ناحية الأحكام العملية نجد في الشريعة الإسلامية تفصيلا للعبادات بمعناها العام والخاص، وكذلك المعاملات التي يراد منها تنظيم علاقات أفراد المجتمع فيما بينهم، وبمختلف أنواعها.فهي تشمل أحكام الأسرة (الزواج والطلاق والحضانة والعدة وغيرها)،وهو ما يسمى في القانون:"**الأحوال الشخصية**".إضافة إلى المعاملات المادية(البيع،الإجارة،الرهن،الشفعة، الكفالة،الحوالة ...إلخ)،مما يدخل في إطار:"**القانون المدني**".وكذلك أمور الشركات والتجارة، وهو ما يتعلق بـ:"**القانون التجاري**".والأحكام المتعلقة بشؤون القضاء والشهادة والدعوى واليمين (**قانون الإجراءات المدنية**).هذا بالإضافة إلى المسائل التي تتعلق بمعاملة الأجانب غير المسلمين في البلاد الإسلامية،وتنظيم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول،وأحكام تتناول موارد الدولة ومصارفها والعلاقات المالية، وأحكام الجرائم والعقوبات،إلى غير ذلك مما يشمل كل شؤون الحياة[1] .

هذه بعض مظاهر شمول الشريعة الإسلامية لكل الجوانب الحياتية،وهو ما يُظهِر قصور القوانين الوضعية؛لعدم تعرضها لمسائل العقيدة والعبادات والأخلاق،وهي أمور هامة جدا تعمل على بناء الإنسان وتجعله صالحا ملتزما.

5–حضارة العلم والبناءوالتعمير:فقد اهتمت الحضارة الإسلامية بالعلم اهتماما شديدا، حيث شجّع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على طلب العلم،وبينا فضل المتعلمين على غير المتعلمين،قال الله تعالى:﴿ **قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝** ﴾ [سورة الزمر:09]. وتطرق كل من القرآن والسنة أيضا إلى فضل طلب العلم

(1) القرضاوي،الخصائص العامة للإسلام (ط10، مؤسسة الرسالة،بيروت،1999)، ص:113 وما بعدها.

ورفعة مكانة أهله،فقال المولى تبارك وتعالى:﴿ **يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ... ۝١١** ﴾ [سورة المجادلة:11].وقال الرسول ﷺ في فضل السعي لطلب العلم:«**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»[1] .

ولهذا فقد ظهر في الأمة الإسلامية علماء كبار في علوم الدين؛كعلماء التفسير والحديث والفقه والعقيدة وغيرها.إضافة إلى علوم الدنيا،كعلم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك والجغرافيا وغير ذلك؛لأن الشريعة الإسلامية لا تنكر ولا تنهى-كما سبق- عن الاستفادة من العلوم الدنيوية بهدف تسخيرها فيما ينفع الإنسانية،بل تحث على ذلك إذا كانت أغراضها لا تتنافى مع الواجبات الدينية[2] .

كما أن الحضارة الإسلامية على مر التاريخ قدمت خدمات جليلة لغيرها من الحضارات، ومنها الحضارة الغربية التي كان أصحابها في القرون الوسطى يعيشون في ظلام التخلف والجهل، وكانت الكنيسة مهيمنة على حياة المجتمعات الأوروبية،ولم تخرج من تلك الحالة البائسة إلا بفضل ترجمتها لكتب العلماء المسلمين، من أمثال ابن سينا والرازي والفارابي وابن الهيثم والخوارزمي والإدريسي وغيرهم كثيرون[3] .

هذا وقد أمر القرآن الكريم بالسعي في الأرض وعمارتها تحقيقا لمبدأ الاستخلاف في الأرض الذي كلّف به الإنسان، حيث قال تعالى: ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ... ۝٦١** ﴾ [سورة هود:61].وقال:﴿ **هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ... ۝٣٩** ﴾[سورة فاطر:39]. فالإسلام دين عمارة وبناء لا دين تخريب وفوضى،ويشهد لذلك المظاهر العمرانية العظيمة التي تركها المسلمون على مر العصور، وفي كل الأماكن التي حلُّوا بها.

6-حضارة صالحة لكل زمان ومكان:لما كانت الحضارة الإسلامية عالمية إنسانية شمولية، فإن ذلك يقتضي أن تكون صالحة للتطبيق في كل البيئات الإنسانية،وأن تكون كذلك صالحة

---

(1) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (2074/4)، حديث رقم: 2699، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

(2) القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، ص: 143 وما بعدها.

(3) القرضاوي، المرجع السابق، ص:146 وما بعدها. وعبد العزيز بن عثمان التويجري، خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، ص:18.

لكل زمن؛لأنها الرسالة السماوية الخاتمة لكل الرسالات،فلا تحدها حدود مكانية ولا زمانية. والرسول ﷺ الذي بُعث برسالة الإسلام بعثه الله تعالى للناس كافة بكل أجناسهم وانتماءاتهم، فكل مكان من الأرض هدف لإقامة الحضارة الإسلامية عليه،كما أن كل زمان من الدهر هدف لإقامة الحضارة الإسلامية فيه.فإذا ما تتبعنا الأسس العقائدية والتشريعية والأخلاقية التي جاء بها الإسلام توافرت لدينا أدلة موضوعية واضحة الدلالة على صلاحية هذه الحضارة لكل زمان ولكل مكان. قال الله تعالى:﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨** ﴾ [سورة سبأ:28] [1] .

7–حضارة الأخلاق:فالخلق الحسن في الإسلام عبادة،بل لقد أخبرنا النبي ﷺ أنّه قد بُعث ليتمم مكارم الأخلاق،فقال ﷺ:«**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**».فطريق الحضارة والسعادة طريق أخلاقي يحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، والأخلاق في الإسلام شاملة لكل نواحي الحياة؛ فهي ركن أصيل وجزأ لا يتجزأ منه.

كما أن الحضارة الإسلامية جعلت للمبادئ الأخلاقية المحل الأول في كل نظمها ومختلف مجالات نشاطها،وقد روعيت تلك المبادئ تشريعا وتطبيقا،وبلغت في ذلك منزلة رفيعة لم تبلغها أي حضارة لا في القديم ولا في الحديث؛حيث تركت هذه الحضارة –في هذا الشأن–آثارا نالت الإعجاب والتقدير والتعظيم من طرف الإنسانية جمعاء[2] .

هذا بالإضافة إلى أن الحضارة الإسلامية هي حضارة العقل والتفكر، وحضارة السلام الداخلي والخارجي،وحضارة المحبة والصفاء، وحضارة المحافظة على حقوق الإنسان، وغير ذلك من الخصائص والصفات الكثيرة التي لا مثيل لها في أي حضارة أخرى،في كل الأزمنة والأمكنة.

تلكم إذن هي أبرز الخصائص التي اتسمت بها حضارتنا الإسلامية العظيمة موجزة مختصرة، وهي مستمدة من تعاليم الشريعة ومقاصدها؛ لأن قيام هذه الحضارة وبهذه الخصائص الراقية

---

(1) مصلح بن عبد الحي النجار، الوافي في الثقافة الإسلامية(دار الثقافة،دمشق).نقلا عن مقال منشور إلكترونيا للدكتور أحمد عبده عوض،خصائص الحضارة الإسلامية ومميزاتها (ahmedabdouawad.com/all-articles/1819). تم الاطلاع يوم: 2017/05/04.

(2) مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص: 65. والقرضاوي،الخصائص العامة للإسلام،ص: 117 وما بعدها.

العظيمة لم يكن مستندا إلى التفكير القاصر للبشر، بل مردها إلى ما شرعه الشارع الحكيم عز وجل من شرائع تصلح بالإنسان وتأخذ بيده للطريق المستقيم الذي ارتضاه الله لعباده.

وقد أمسكتُ عن الاسترسال في شرح الخصائص التي ذكرتها، وأحجمتُ عن ذكر خصائص أخرى مخافة أن يطول البحث ويخرج عن المقصود منه.

وهذه الخصائص وغيرها تدل دلالة قاطعة على عظمة الدين الإسلامي وعظمة التشريعات التي جاء بها؛ فهي استمدت وجودها وقوتها وعظمتها من التعاليم الإسلامية والتوجيهات السماوية،ولذلك فهي حضارة خالدة خلودَ هذا الدين،باقية بقاء الحياة على وجه الأرض. وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ هذا الدين الحنيف،ولهذا فهذه الحضارة ذات خصوصيات متفردة؛فهي لا تشيخ لتصل إلى حدود الانقراض،لأنها ليست حضارة قومية ولا هي عنصرية، ولا ضد الفطرة الإنسانية. والإسلام لا يتمثل في المسلمين في كل الأحوال، ذلك أن المسلمين قد يضعفون ويتراجع مردودهم وتأثيرهم،لكن الإسلام لا يضعف ولا يتراجع تأثيره.والحضارة الإسلامية بهذا المعنى هي حضارة دائمة الإشعاع تتعاقب أطوارها وتتجدد دوراتها،وهي تتوفر على كل عوامل القوة والتفوق لتنهض في هذا العصر من جديد وتمسك بزمام التطور والازدهار في كل المجالات،وتقود البشرية جمعاء إلى طريق السعادة الحقيقية[1] .

(1) ينظر مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص:68 وما بعدها. وعبد العزيز بن عثمان التويجري،خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، ص:36 وما بعدها.

المطلب الثالث

أهم أوجه مساهمة مقاصد الشريعة في بناء الحضارة الإسلامية

قسّم الشاطبي رحمه الله مقاصد الشريعة إلى ثلاثة أقسام،حيث جاء في كتابه"الموافقات" ما يأتي:«تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام:أحدها أن تكون ضرورية،والثاني أن تكون حاجية،والثالث أن تكون تحسينية.فأما الضرورية فمعناها أنه لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا؛بحيث إذا فُقدت لم تَجْرِ مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة،وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين...ومجموع الضروريات خمسة،وهي:حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل،وقد قالوا إنها مراعاة في كل ملة...وأما الحاجيات فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب...وهي جارية في العبادات والعادات والمعاملات والجنايات...وأما التحسينيات فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق»[1] .

فمقاصد الشريعة ومراعاتها للضرورات والحاجيات والتحسينيات يجلب الخير والمحاسن ويدفع الشرور والمفاسد،ويؤدي إلى رقي حضاري لا نظير له.فإذا نظرنا في المقاصد الضرورية الخمسة يظهر لنا جانب من عظمة مقاصد الشريعة وآثارها الحضارية على المستويين القريب والبعيد.ذلك أن حفظ الدين يعني حماية المسلم من أن يدخل عليه ما يفسد عليه عقيدته أو عمله الشرعي،وحماية المجتمع أيضا من نواقض أصول الدين أو المظاهر المناهضة لتعاليم الشريعة الإسلامية.وأما حفظ النفس فيعني حماية الأرواح من التلف سواء أفرادا أم جماعات، ومحاربة كل الوسائل التي تتسبب في إزهاقها دون وجه حق.ومعنى حفظ العقل هو حماية عقول الناس مما يؤدي إلى حدوث خلل فيها،الأمر الذي قد ينتج عنه فساد عظيم واضطراب في التفكير،والعزم على إحداث المنكرات والجرائم.ومن ذلك النهي عن المسكرات والمخدرات وما شابههما.أما حفظ المال فيقصد به المحافظة على أموال الناس الخاصة وممتلكاتهم،وحماية المال العام من

(1) الشاطبي، الموافقات، ج2، ص:03 وما بعدها.

الإتلاف والتصرف غير الشرعي.وحفظ النسل يكون بحفظ الأنساب من الاختلاط والفوضى أوالتعطيل؛للمحافظة على الشرف والعفة،وذلك بتحريم الزنى والاختلاط والخلوة غير الشرعية وغير ذلك[1] .

ثم إن هناك –بالإضافة إلى الضرورات–الحاجيات والتحسينيات؛فقد راعاها الشارع الحكيم وهي كما يقول علماء المقاصد مكمّل للضروري وحافظ له من الخلل؛أي أنهما يشكلان سياجا واقيا للمقاصد الضرورية،وباختلالهما يختل الضروري بوجه ما.أما اختلال الضروري فهو يؤدي إلى اختلال تام في الحاجي والتحسيني.فالضروري أصل لهما؛لأن وجودهما بوجوده،ولذلك فإن المحافظة على المقاصد الحاجية والتحسينية إنما جاء لصيانة الضروريات وحمايتها من أي نوع من أنواع الضرر أو التلف[2] .

وكل من المقاصد الثلاثة مَرعيٌّ في الشرع ومقصود إلى تحصيله والمحافظة عليه،والعمل على صيانته،ودرء كل ما يلحق ضررا به بأي وجه من الوجوه.

وانطلاقا مما سبق فإن الشريعة الإسلامية ومقاصدها الراقية أسهمت إسهاما فعالا في بناء الصرح الحضاري الإنساني،وكان لها الفضل في دخول البشرية إلى مرحلة جديدة من الحضارة الإنسانية،مرحلة ذات خصائص ومعالم فريدة من نوعها،تتسم بالاهتمام بالرقي الروحي،وتجعله منطلقا نحو آفاق واسعة من التقدم والتطور المادي بكل أنواعه وفي شتى مجالاته.وهذا ما نلحظه من خلال التشريعات التي تضمنتها والتنظيمات التي سنّتها،بهدف الوصول بالبشر إلى التحضر الحقيقي الذي تنشدُه كل المجتمعات وتسعى بكل قوتها لتحقيقه وجَعْله منهاجا ثابتا في حياتها.

وقد ارتأيتُ دراسة هذا المطلب من جانبين: **–الأول**:أهم أوجه مساهمة المقاصد في البناء الحضاري . **–الثاني**:أبرز مظاهر مساهمة المقاصد في بناء الحضارة الإنسانية

أولا–أهم أوجه مساهمة المقاصد في البناء الحضاري:

إن مساهمة مقاصد الشريعة في بناء الحضارة الإنسانية تشمل كل مجالات الحياة،وتعم مختلف جوانب النشاط الحضاري.فقد قصدت الشريعة إلى تربية الأجيال تربية حضارية سليمة

(1) هاشم بن علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام،أصل الكتاب رسالة دكتوراه (ط1، سلسلة الرسائل الجامعية،جامعة محمد بن سعود الإسلامية،2007) ص:266 وما بعدها.

(2) ينظر الشاطبي، الموافقات،ج2، ص: 08.

تمكنهم من بلوغ مراتب عليا في الجانب الأخلاقي،والجانب العلمي والعملي،كي يكون لهم السبق والتفوق على المستوى العالمي في ضوء الإسلام وتعاليمه السمحة،التي تتوافق مع الفطر السليمة والفهوم المستقيمة[1] .

ومن المسلّم به عند علماء الشريعة-كما سبق-أن الشريعة جاءت لحفظ مصالح العباد، وتحقيق سعادتهم في العاجل والآجل.كما أنه من المقرر لدى علماء المقاصد أن مقصود الشرع من تشريعاته التي كلف بها الناس إنما هي جلب المصالح لهم ودرء المفاسد عنهم.لكن المصالح المقصودة في هذا المجال هي المصالح الحقيقية،وليست المصالح الخاضعة لأهواء البشر وميولاتهم. كما أن المفاسد المعنية هي ما كانت مفسدة حقيقية باتفاق العقلاء وأهل العلم،لا ما يعتبره بعض الجهلة وأصحاب الأغراض غير البريئة مفسدة،وهو ليس كذلك.

فالشريعة الإسلامية قصدت إلى جعل تصرفات المكلفين كلها داخلة في معنى العبودية لله عز وجل،وتحرير الإنسان من الخضوع والتذلل لغيره،وهو ما يدفعه إلى العمل الجاد والإبداع في كل المجالات،إضافة إلى تمكين المنضوين تحت راية الإسلام من إعمار الأرض والسعي فيها وتسخير مظاهر الكون لخدمة الإنسانية؛ممّا يتولّد عنه رقي حضاري متكامل،يشمل جميع مجالات الحياة؛روحيا وماديا،وما عدا ذلك فليس برقي حضاري حقيقي[2] .

فالتطور الحضاري الفعلي هو ما كان منطلقه الدين والأخلاق الحسنة،وكل نموذج قد يبدو حضاريا لكنه لا يعتمد على دين صحيح فقد يُنتِج تقدما ماديا،ولكنه لن يكون تقدما حضاريا؛لأنّ أسسه غير ثابتة وجزئياته غير شاملة،وأركانه قابلة للتصدع والانهيار عاجلا أو آجلا،والنموذج الغربي خير دليل يشهد على ذلك[3] .

وعند النظر في مقاصد الشريعة نجد أنها تتضمن مبادئ وقواعد متكاملة ومنهجا شاملا لبناء حضارة راسخة شامخة راقية مزدهرة،ترعى مصالح البشر وتحميهم من كل ما يسوءهم

---

(1) ينظر هاشم بن علي الأهدل، المرجع السابق،ص:66 وما بعدها.

(2) ينظر محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص:47 وما بعدها. ومصطفى السباعي، من روائع حضارتنا،ص:70 وما بعدها.

(3) ينظر مالك بن نبي،الظاهرة القرآنية، ص:69 وما بعدها. و وجهة العالم الإسلامي له أيضا،ترجمة عبد الصبور شاهين (ط1،دار الفكر،دمشق،1986) ص:30-31.

وتأخذ بأيديهم إلى بر النجاة،للوصول بهم إلى تحضر حقيقي يسعدون به سعادة لا شقاوة بعدها؛لأنه يتضمن السعادة الأخروية التي هي السعادة الحقيقية.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الشريعة الإسلامية تحث على التحضر الحقيقي وتدعو المكلفين وخاصة الناشئين إلى التزود بالمعارف والعلوم المختلفة من علوم الشريعة وعلوم الطبيعة،وتوظيفها في تحصيل مصالح الدنيا والآخرة.فطاعة الله وعبادته لا تقتصر على شعائر الدين،كالصلاة والزكاة والصوم والحج والصدقات وغير ذلك،بل إضافة إلى ذلك هناك أيضا السعي إلى التقدم والتطور في كل مجالات الحياة لخدمة الأمة ونفعها، فخير الناس أنفعهم للناس،وذلك بهدف الوصول إلى الرقي الحضاري الشامل للجانب الروحي والجانب المادي.

فلا منافاة إذن بين التديّن الذي هو المحافظة على تعاليم الشريعة والوقوف عند أحكامها وتطبيقها،وبين السعي إلى التحضر الفعلي الذي لا يتناقض مع الشريعة ومقاصدها[1] .

ومنه فإن المبادئ والقواعد التي تضمنتها المقاصد الشرعية من الزاوية الحضارية تظهر ملامحها في الأسس التي تقوم عليها التربية الحضارية المستمدة من الشريعة الإسلامية ومقاصدها التي تمت الإشارة إليها آنفا.

فمقاصد الشرع تستهدف بناء شخصية الإنسان واحترام عقله،وإرشاده إلى المبادئ والقيم الحية التي تنهض به؛لأنّ العامل الجوهري في كل بناء حضاري هو الإنسان كما هو معلوم، ولذلك فقد احتوت تلك المقاصد الأسس والمرتكزات اللازمة لتربية حضارية سليمة وراقية ينشأ فيها الإنسان ويتخذها نبراسا يهتدي به في شؤون حياته كلها،ومنهاجا تستقيم به سلوكاته وأخلاقه،وتحسن به أعماله ومعاملاته في جميع الجوانب المتعلقة بالمعاش والمعاد[2] .

ومن أهم تلك الأسس التي حوتها مقاصد الشريعة ما يأتي:

1-الأسس العقدية:

والمقصود بها المرتكزات التي يبني عليها الإنسان عقيدته وإيمانه،فقد جاءت الشريعة الإسلامية بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له،حيث يقول عز وجل في محكم تنزيله:﴿ **وَمَا**

(1) ينظر مصطفى السباعي،المرجع السابق، ص:74 وما بعدها. ويوسف القرضاوي،الإسلام حضارة الغد، ص:153.

(2) ينظر يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، ص: 160 و:167 وما بعدها.

﴿ خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الذاريات:56].ويقول تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ... ﴿٥﴾ ﴾ [سورة البينة:05].

فالإنسان خُلق لغاية سامية هي معرفة الله خالقه سبحانه وتعالى،وتحقيق العبودية له،والقيام بمتطلبات استخلافه له في الأرض. وقد بين القرآن الكريم في آيات عديدة أن الغاية من خلق العالم كله سماواته وأرضه،علويّه وسفليه هي معرفة الناس ربهم القادر على كل شيء المحيط بكل شيء.وهذه المعرفة هي باب كل هدى ومفتاح كل خير[1] .

هذا بالإضافة إلى ما يستلزمه الإيمان بالله لأمره من الإيمان بالملائكة والرسل والكتب السماوية واليوم الآخر،وبالقدر خيره وشره،وبالجنة والنار والحساب والصراط والميزان وغير ذلك من متطلبات العقيدة الإسلامية التي تضمنتها نصوص القرآن والسنة،والتي تعني التصديق الجازم الذي لا يتطرق إليه شك بأركان الإيمان.وقد تضمنت بعض النصوص القرآنية أهم تلك الأركان مثل قوله تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ... ﴿١٧٧﴾ ﴾الآية،[سورة البقرة:177].

وللتمسك بعقيدة الحضارة الإسلامية فضائل ومميزات،ولأصحابها خصائص ومواصفات يتميزون بها.ولا بد في مجال التربية الحضارية أن تُولي هذه التربية القضايا العَقَديّة اهتماما خاصا؛ لأنها الأساس الرئيسي الذي تبنى عليه الحضارات ويقوم عليه بناء شخصية الإنسان.وإذا ما ثبتت العقيدة في نفوس أبناء الأمة ورسخت يقينا في عقولهم وقلوبهم أمكنهم مواجهة كل التحديات،وحل جميع المشاكل التي تعترض طريقهم في سبيل الرقي الحضاري،فلا شيء قبل العقيدة[2] .

ومن أبرز الآثار التربوية الحضارية للأسس العقدية ما يأتي:

---

(1) القرضاوي،الخصائص العامة للإسلام، ص:11. وهاشم بن علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام،ص: 229 وما بعدها.

(2) هاشم بن علي الأهدل، المرجع السابق، ص:229.

أ–الحياة الطيبة في الدنيا والسعادة في الآخرة:

وذلك لأن الهدف من قيام أي حضارة هو تلبية حاجات البشر المادية والمعنوية،وتحقيق الحياة الطيبة وسعادة الدارين.ومن نتائج العقيدة الصحيحة والعمل على ضوئها هو الحصول على آثارها الطيبة وفوائدها في الدنيا والآخرة. ومن تلك الفوائد ما يأتي:

* عصمة الدم والمال، وتحريم الاعتداء عليهما * النجاة من عذاب يوم القيامة
* تكفير الذنوب والخطايا * سبب في سعادة العاجل والآجل
* تحرير العقل والفكر من التخبط والاضطراب * الراحة النفسية والفكرية
* سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله،أو عند معاملة الخلق
* الحصول على أمة قوية متمكنة،تبذل كل غالٍ ورخيص في سبيل نصرة دينها وتثبيت أركانه.
* تسوية سلوك الإنسان وحمايته من الانحرافات،وإنقاذه من كل ما يهدم إنسانيته،وجعْله يكتسب الصبر ويتحمل الصعوبات[1] . قال الله تعالى:﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ...** ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل:97].

فليس بمقدور البشر مهما تطورت علومهم وكبرت عقولهم وسلمت نواياهم أن يُحدثوا منهجا متكاملا لا تتخلله النقائص ولا تعتريه الاستدراكات.ومهما بلغوا في إدراك وتقدير مصالحهم ومفاسدهم فإنهم يَظَلُّون في حاجة إلى تلك الحوافز الدينية القوية(العقيدة)التي تقوّي استعدادهم للالتزام العملي بحفظ المصالح واجتناب المفاسد.

ب–تنقية الحضارة من الانحرافات العقديّة:

فكل الحضارات التي كانت بعيدة عن العقيدة الصحيحة لم تسلم من مظاهر الدجل وعبادة الأصنام والمخلوقات الحقيرة.أما الالتزام بالعقيدة الصحيحة–وذلك بالإيمان بالله وتوحيده والإخلاص في عبادته–فهو يحرر الإنسان من عبادة نفسه وغيره وعبادة مظاهر الكون المختلفة؛

(1) هاشم بن علي الأهدل،المرجع السابق، ص:231 وما بعدها. ويحي بن عبد الفتاح بن عبد الله باقاسي،الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية،رسالة ماجستير،جامعة أم القرى، 1409هـ.

لأنّ عبادة تلك المظاهر يؤدي حتما إلى الصدام العنيف بين البشر،فينتج عن ذلك حروب مدمرة ومجازر رهيبة،وتنهدم أمامه الحقائق والقيم والمثل الإنسانية[1] .

ومن مميزات الحضارة الإسلامية أنها انطلقت من مبدإٍ جوهري وأساسي هو الإيمان بالله وعبادته وحده، والتوحيد هو لب الفكرة الإيمانية،وينتج عن ذلك عمارة الكون وتعمير الحياة بالخير والرخاء في ظل منهج العقيدة السليمة[2] .

ج–تصحيح مفهوم الرزق وطرق كسبه وإنفاقه فيما فيه خير الأمة والحضارة:

فعلى المسلم أن الله هو الرزاق،وأنه يرزق جميع الخلق،المؤمن منهم والكافر،برهم وفاجرهم. قال الله عز وجل:﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨** ﴾ [سورة الذاريات:58].كما أن الرزق الذي يسخره الله عز وجل لا يعني الأمور المادية فقط،بل يشمل أيضا الأمور المعنوية،كالعقل والحكمة والشجاعة والحلم وغير ذلك.إضافة إلى أنه لا يخص الدنيا فقط، بل يتعداه إلى رزق الآخرة أيضا.

فلا بد من طلب الرزق من الله تعالى مع اتخاذ الأسباب طبعا، ولْيَدْعُ المسلم ربه الأرزاق والخيرات مع التوفيق لما فيه خير الأمة وصلاح الحضارة عاجلا وآجلا[3] .

د–راحة القلب واطمئنانه وزوال الهموم والقلق النفسي:

فالعقيدة في الحضارة الإسلامية تشتمل على الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره؛وذلك من شأنه أن يعصم الإنسان –بأمر الله تعالى–من الوقوع في التوتر العصبي والقلق النفسي الذي قد يؤدي به إلى الانتحار.فقد قال النبي ﷺ:«**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ،وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[4] .وقال أيضا عليه الصلاة والسلام:«**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ،وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وأَنَّ مَا**

---

(1) هاشم بن علي الأهدل، المرجع السابق، ص: 233 وما بعدها.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه، ص:234.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس، ج4(ط1،مؤسسة الرسالة،1421هـ) ص:410. وأخرجه الترمذي في سننه، باب صفة القيامة والرقائق والورع،حديث رقم: 2516 ترقيم شاكر.

أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»[1] . فالتربية الحضارية التي لا تشتمل على هذا المعنى تجد أبناءها في هم وحزن دائم وقلق مستمر،قد يجعل بعضهم يضع حدا لحياته بالانتحار تشاؤما من المستقبل،أو يتجه لتناول المخدرات باستمرار هروبا من الواقع.

والإيمان بالقضاء والقدر يعني الرضى بما قسمه الله وعدم الجزع أو السخط على ما قدره عز وجل،والثبات عند المصائب والأزمات،والعلم أن الحياة الدنيا هي دار امتحان وابتلاء،يظهر من خلالها صدق المؤمن وثباته على توحيد الله وعبادته.وهذا لا يعني التخلي عن اتخاذ الأسباب التي تجلب الخير وتدفع الشر،بل بالعكس فالمطلوب من المسلم شرعا أن يتخذ الأسباب الممكنة،وإذا حصل شيء عكس مراده فعليه ألا يجزع بل يرضى بالقضاء[2] .

هـ–حث المُتَرَبِّين على الجد والاجتهاد لتحقيق التقدم والرقي الحضاري:

فالإيمان بالقضاء والقدر يستدعي التوكل على الله تعالى،مع الأخذ بالأسباب للوصول إلى تحقيق المطالب وبلوغ الدرجات العالية في جميع المجالات،سواء الدنيوية أم الأخروية.فالإنسان هو المتسبب في نجاحه وتفوقه إذا جد واجتهد،كما أنه هو المتسبب في تراجعه وفشله إذا تكاسل وتقاعس عن طلب الكمالات،وإن كان ذلك كله داخلا تحت مشيئة الله وقضائه وقدره.فالعقلاء متفقون على استحسان إتعاب النفوس من أجل الوصول إلى كمالاتها من العلم والعمل الصالح والأخلاق الحسنة،والتقدم والرقي الحضاري.وعلى المسلم أن يحرص على إتيان ما ينفعه ويستعين بالله ولا يعجز أو يتهاون في ذلك[3].يقول النبي ﷺ:«**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ...**»[4]

---

(1) أخرجه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، حديث رقم (2144) ترقيم شاكر.

(2) ينظر الدكتور خالد بن حامد الحازمي،أصول التربية الإسلامية (ط1،دار عالم الكتب،الرياض السعودية،1420هـ) ص: 105 وما بعدها. وهاشم بن علي الأهدل، المرجع السابق، ص:234 وما بعدها.

(3) ينظر هاشم بن علي الأهدل، المرجع السابق، ص:235.

(4) أخرجه مسلم، كتاب القدر،باب باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، تح محمد فؤاد عبد الباقي، ج 4(لا.ط،دار إحياء التراث العربي، بيروت،د.ت)، ص:2052. حديث رقم:2664.

و–عدم الاستسلام للواقع السّيّء والتأكيد على إمكانية تغيير التخلف الحضاري:

فمن أجل الوصول إلى الرقي الحضاري لا بدّ من مجابهة الواقع السّيّء،وعدم الاستسلام له والركون إليه بحجة القضاء والقدر.فلقد أدى الفهم الخاطئ للعقيدة الصحيحة–ومنها إدراك معنى الإيمان بالقضاء والقدر–إلى تخلف الأمة ،حيث أثّرت هذه الفهوم الخاطئة على سلوكات وممارسات الأفراد ونشاطاتهم.فمن أصيب بمرض مثلا فعليه أن يعالج نفسه ويتناول الدواء المناسب لكي يُشفى من مرضه،وقد أشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى هذا المعنى بقوله:«**تَدَاوَوْا يَا عِبَادَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ داءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً إِلاَّ دَاءً وَاحِدًا الْهَرَمُ**»[1].

فمن مهام التربية الحضارية أن تبين للأجيال أهمية التغيير للأفضل،وأن الإيمان بالقضاء والقدر لايتنافى مع حرية الفرد وإمكاناته،ولا يتعارض مع حاجته لتغيير القدر بقدر آخر يكتبه الله عز وجل لمن يبذل الأسباب اللازمة للتغيير.فالتصور السليم للإيمان بالقضاء والقدر يستلزم دفع الجهل بالعلم،ودفع التخلف الحضاري بالسعي وراء التفوق والإبداع[2] .

ز–تربية الأجيال على الأخذ بالأسباب وحسن التوكل على الله تعالى:

فالوصول إلى تحقيق الأهداف والارتقاء في السلم الحضاري يتطلب التخطيط المحكم والتسبب بكل الوجوه والأساليب المشروعة؛لأنّ الأخذ بالأسباب لا يتناقض أبدا مع التوكل،بل هو عين التوكل؛لأنه امتثال لأمر الله تعالى الذي أمر بالسير في الأرض وعمارتها وتحقيق مهمة الاستخلاف التي كلف الإنسان بها.قال الله تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا** ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة النساء:71].فالله تعالى قادر على نصر المؤمنين أهل الحق على الكفار ولو دون اتخاذ الاستعدادات اللازمة،ولكن اقتضت سنته عز وجل أنه جعل لكل سببا، والآيات والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة جدا[3] .

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده،حديث أسامة بن شريك،حديث رقم (18455). والبخاري في الأدب المفرد والأربعة وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم. ينظر فتح الباري لابن حجر، كتاب الطب،ج10 ص: 135.

(2) هاشم بن علي الأهدل، المرجع السابق، ص: 236. وحافظ بن أحمد الحكمي،أعلام السنة المنشورة، تح أحمد بن علي علوش (ط1،مكتبة الرشد،الرياض،1418هـ) ص:161 وما بعدها.

(3) الأهدل، المرجع السابق، ص: 238.

ح–تعليم العقيدة تعليما تربويا وتدريب الأجيال على ممارستها في الميدان الحضاري:

وذلك بجعل العقيدة تتحول إلى واقع عملي في حياة الناشئة،فيعملون بموجبها ويسيرون على هديها.فالفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية يدفع إلى الانطلاق في العمل والتعمير والبناء دون كلل أو ملل أو خوف أو تهاون،وهذا ما يُسهم في قيام حضارة دائمة ذات أسس عقدية راسخة،يتربى الأفراد في ظلها على الجمع بين الدين والدنيا،وبذلك يساهمون في خدمة الحضارة البشرية، وإنقاذ الإنسانية من المادية الطاغية والقيادات المنحرفة التي سلكت بالناس مسالك الردى والهوان [1] .

ط–التربية على الصمود وعدم الانحلال في فترات الضعف والخمول:

فالتمسك بالعقيدة الصحيحة يجعل المتربين يمتلكون طاقة قوية لا تنفد،تمكنهم من الصمود والثبات عند حلول الوهن والضعف بالأمة،وهو ما يحفظ كيانها ويمنع ذوبانها وضياعها في ظل التيارات المختلفة التي تهدف للقضاء على هويتها.وهذه العقيدة هي التي تدفعهم للنهوض من جديد ونشر دين الحق والخير للناس،الأمر الذي ينتج عنه حركة حضارية تتميز بالإيجابية والفعالية. فبقدر إيمان الشخص يحصل منه الثبات على المبادئ عند الشدائد والصبر على إحقاق الحق وإبطال الباطل، وعلى كراهية أعداء الشريعة [2] .قال الله تعالى:﴿... كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [سورة البقرة:249].

ي–تنشئة الأجيال على التمسك بالعقيدة للحفاظ على الهوية والتميز بين الأمم:

فالتوحيد هو الذي يميز هذه الأمة عن غيرها من الأمم،ويميز حضارتها عن الحضارات الأخرى؛لأنه يعني عبادة الله وحده والتبرّأ من عبادة كل ما سواه، والخضوع والإذعان له في كل الأمور،واتباع ما جاء به النبي ﷺ –أستاذ الحضارة–من الوحي،سواء الكتاب أم السنة،والذي جاء بالتعاليم والمبادئ التي تؤسس لحضارة إنسانية سامية وراسخة وخالدة [3] .

---

(1) ينظر يحيى بن عبد الفتاح بن عبد الله باقاسي، الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية، ص:22 وما بعدها. وهاشم بن علي الأهدل، المرجع السابق، ص: 241.

(2) خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص:110. وهاشم بن علي الأهدل،المرجع السابق، ص:243.

(3) الأهدل ، المرجع السابق، ص:244.

2-الأسس التعبدية للتربية الحضارية:

ومفهوم العبادة يشمل كل ما يرضاه الله عز وجل ويحبه من الأقوال والأعمال،ويتضمن جميع الوظائف والشعائر التعبدية التي يقوم بها المكلف،سواء يوميا أم شهريا أم سنويا،أم مرة في العمر،وسواء أكانت من أعمال الجوارح أم من أعمال القلوب.

فمن أعمال الجوارح:الصلاة والزكاة والصوم والحج والصدقات والإحسان لجميع الخلق وصلة الأرحام والزيارة في الله وأداء الأمانة والوفاء بالعهد. ومن أعمال القلوب:الخشية من الله والإنابة إليه والتوكل عليه،ومحبته والإخلاص له في جميع الأعمال،والشكر والرضى بقضائه وقدره، والصدق والصبر وغير ذلك [1] .

ومن وجوه العبادة أيضا خدمة الدين والسعي في تحصيل مصالح عباد الله،والدفاع عن الإسلام والأمة الإسلامية،إضافة إلى الاهتمام بفروض الكفاية لتوفير حاجات الأمة،والعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية،والمشاركة في كل مشاريع الخير بمختلف أشكالها.وعلى المكلف استحضار النية في تلك الأعمال وملازمة وصف العبودية لله تعالى [2] .

وأودّ أن أنقل هنا كلاما مهما جاء في كتاب"أصول التربية الحضارية في الإسلام":« إنّ الحضارة بزخرفها وزينتها لا ينبغي أن تخرُج عن الضابط التعبّدي،كما أن السعي لتحصيلها وتكميلها لا ينبغي أن يكون هو الهمَّ الأكبر الذي يشغل القلب ويصرفه عن تحصيل كمالات النفس ورقيها في مدارج العبودية،فمن آتاه الله المنصب أو الجاه أو الخبرة في أي جانب من جوانب هذه الحضارة يتعامل مع هذه النعم بحيث تكون مطية لنيل محبة الله تعالى ورسوله ﷺ؛ لأن امتلاء القلب بمحبة الله ورسوله أمان بإذن الله من الوقوع في أمراض الحضارة ونواقضها»[3].
ثم يقول:«وتقديم محبة هذه الشواغل على محبة الله عز وجل ومحبة رسوله ﷺ تجعل العبودية الحقّة في مرتبة متأخرة،وهذا يخالف معنى العبادة التي أرادها الله من البشر،والتي تنشأ عن تعظيم الله ومعرفته.فالقاعدة الحضارية أن يستشعر كل فرد العبودية والإخلاص وهو يمارس وظيفته أو

(1) ينظر خالد بن حامد الحازمي، المرجع السابق ص:117. وهاشم بن علي الأهدل،المرجع السابق، ص:249.
(2) الأهدل، المرجع السابق.
(3) الأهدل، المرجع السابق.

مهنته،ولا يفارقه في أي لحظة من لحظات حياته.قال الله تعالى:﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ ﴾ [سورة الأنعام:162] » [1] .

ولذلك فإن تربية الأجيال حضاريا وتشَرُّبها لروح العبادة يجعلها محصَّنةً من استعباد الحضارة لهم،فلا يكونون منساقين وراءها دون تمييز،بل سيسخرونها لتحقيق المفهوم الصحيح للعبادة. فمن المهم جدًّا تكوين دافع التعبد لدى الناشئة،بحيث تكون جميع تصرفاتهم وسلوكاتهم داخلة في إطار عبادة الله تعالى،وذلك باستحضار النية في كل عمل يقومون به؛فإذا تعلموا فإنما يتعلمون من أجل أداء الفرائض والقيام بما أوجبه الله عليهم،والمساهمة في تقدم أمتهم ورقيها الحضاري.وإذا توظّفوا فإنهم يتوظفون من أجل القيام بواجب العمل الذي طالبت به الشريعة، وأداء الوظيفة المناطة بالإنسان لتحقيق عوامل الاستخلاف وإعمار الأرض.وكل ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى واستشعارًا لأنّ ذلك يؤدي إلى رفعة درجتهم عند ربهم،فيندفعون أكثر ويواصلون مسيرة البناء الحضاري[2] .

وإذا ما طبق المكلف هذه القاعدة فإنّ همّه الأكبر سيكون تنفيذ ما طُلب منه شرعا وإتقانه وبذل قصارى جهده فيه دون الأخذ بعين الاعتبار رضى الناس أو سخطهم ما دام في سبيل عبادة الله وتحصيل مرضاته.كما أن النية في الأعمال المباحة تصيّرها عبادة؛فإذا ما نوى المسلم نيةً صحيحة في عمل مباح كأكل أو شراب أو سفر أو أي تصرف مباح وقَصَد به مقصدا شرعيا فإنه يؤجر على تلك الأعمال بسبب نيته.فالنية والغاية هي الموجّهة للأعمال،وهي الفيصل بين أبناء الحضارة الصالحة وغيرهم من أبناء الحضارات الأخرى [3].

ثم إنه ينتج عن الأسس التعبدية للتربية الحضارية في الإسلام آثار تربوية عديدة،أبرزها:

أ–تزويد الأجيال بالطاقة الروحية المُعينة على القيام بالواجبات الحضارية:

فالعبادات تزوّد المسلم بالطاقة الروحية التي يُفيضها الله سبحانه وتعالى على العابدين المخلصين له في العبادة،وخاصة الصلاة التي يقتبس منها المصلي الخاشع شحنات إيمانية نتيجة

(1) المرجع السابق، ص:250.

(2) ينظر القرضاوي،الخصائص العامة للإسلام ،ص: 115. والأهدل، المرجع السابق، ص:251.

(3) القرضاوي، المرجع نفسه، ص:116 وما بعدها.

اتصاله بالملأ الأعلى،فيشعر بذلك الفيض الإلهي الذي يغمر قلبه وجوارحه،والذي لن يستطيع أي مصدر من مصادر الحضارة أن يبثّه ويقدّمه له.هذه الطاقة الروحية تدفع الإنسان إلى العمل الجاد وتوجيه نشاطه لخدمة الحضارة،كلٌّ في ميدان تخصصه ومجال عمله،مهما كان نوعه.

وعندما يظهر في الأمة جيلٌ توجهه النية الصالحة واستحضار معنى العبادة في كل نشاطاته تتكون لديه قوة دفعٍ كبيرة ترغّبه في المساهمة في الرقي والازدهار الحضاري وبلوغ أعلى المراتب. لأنّه إذا انعزلت النية الصادقة عن نشاط الإنسان ضعفت فيه القوة الدافعة،وبالتالي يقل نشاطه وتضيع جهود كثيرة من جهود أبناء الأمة وتذهب أوقاتهم سُدًى دون أن يستفيدوا منها أو يُفيدوا غيرهم [1].

ب–تقوية نوازع الخير في النفس وحب الآخرين والتعاون الحضاري:

فالزكاة والصدقات والتبرعات تخلّص نفس الإنسان من الشح والطمع،والإحساس بنعمة المال التي يهبها الله عز وجل له يولّد الشعور بالأخوّة الإنسانية وأنّ الخلق كلهم عيال الله،فتكثر صور التعاون والتضامن؛لأنّ في الإنفاق والإحسان إلى الآخرين بالمال اعترافاً بفضل الله عليه واستمطاراً لرحمة الله تعالى،وهو أيضا من مظاهر التمكين.قال الله تعالى:﴿ **ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ** ... ﴿٤١﴾ ﴾[سورة الحج:41]. كما أنّ في منع الزكاة جحوداً لنعمة الله وعدم شكره عليها،وهو سبب لحرمان الإنسان من تلك النعمة، ومنع المزيد من الخيرات.قال النبي ﷺ:«**وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ،وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا**»[2].

ومن مقاصد الشريعة في الصدقة والإنفاق سد حاجات الفقراء والمساكين وغيرهم من المحتاجين، فلو صار سلوك الإنفاق طبعًا وخُلُقًا راسخا لدى الأفراد لما بقي محتاج في المجتمع المسلم،ولأدّى ذلك إلى التنمية الاقتصادية المطلوبة.وذلك لا شك حياة للمجتمع وخطوة صحيحة في سبيل التفوق الحضاري.وإذا اقتنع الناس بمبدإ "سارعوا إلى الخيرات" الوارد في قوله

(1) الأهدل،المرجع السابق،ص:254 وما بعدها.وخالد بن حامد الحازمي،أصول التربية الإسلامية،ص:119وما بعدها.

(2) جزء من حديث أخرجه ابن ماجة في سننه،كتاب الفتن، باب العقوبات،حديث رقم: 4019.

عز وجل:﴿ فَٱسۡتَبِقُوا ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ ... ﴿١٤٨﴾ ﴾ [سورة البقرة:148] فإنّ التنافس سيعمّ الجميع بهدف الحصول على الحسنات ونيل رضى رب الأرض والسماوات[1].

ج–تقوية روابط الأخوّة الاجتماعية وتحقيق التماسك الحضاري:

وذلك يظهر في تشريعات عديدة تضمنتها الشريعة،من أهمها: الحج، الذي له جوانب تربوية كثيرة .؛حيث إنّه يجمع المسلمين على اختلاف لغاتهم وأجناسهم وتباعد أقطارهم في صعيد واحد،وذلك بمثابة مؤتمر عالمي يتبادل فيه المسلمون الأفكار والخبْرات التي تهم الأمة الإسلامية،وتنظر في القضايا التي تشغل بال أبنائها.

فدواعي الوحدة تظهر جليّة في فريضة الحج؛فالجميع في مكان واحد وبلباس موحّد، ويؤدون شعيرة ومناسك واحدة.كما أنّ هذه الشعائر مظنة لترويض النفس على الانضباط والتخلق بالأخلاق الفاضلة والانقياد لتعاليم الشرع الحنيف[2].كما أن في الحج جانبا شعوريا يقوي العزائم ويشحذ الهمم.

هذا بالإضافة إلى أنّ الوحدة والتماسك والانضباط والمحافظة على النظام هي من مظاهر القوة لدى الشعوب،وتساهم في التقدم والرقي عند استخدامها في مجال الإنتاج والبناء والتعمير[3].

د–تربية الأجيال على الصبر والإحساس بمعاناة الآخرين ومحاربة التخلف الاقتصادي:

وهذا عبر فريضة الصوم،الذي فرضه الله على أبناء الحضارة الإسلامية،كما فرضه على من قبلهم.فالصوم كما أنه مدرسة صحّيّة لتنقية الجسم من رواسب الطعام وتطهير المعدة،فهو أيضا مدرسة روحية تعمل على تربية النفس وتطهيرها من الأنانية،ويعلمها الصبر والإحساس بما يعانيه الآخرون من الجوع والفقر،فيعمل على التخفيف من تلك المعاناة،حتى يحمي أصحابها من عواقب الحاجة والعوز؛لأنّ الفقر قد يؤدي بصاحبه إلى سلوك طريق غير سوي؛فيرتكب الجرائم والسرقة وكل ما ينافي فضائل الأخلاق.ولا شك أن طريق القضاء على الفقر وعلى آثاره

(1) ينظر خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية،ص: 119 وما بعدها. والأهدل، المرجع السابق، ص:257.

(2) ينظر عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، من مقاصد الحج ،ص: 56 وص:72.

(3) ينظر خالد الحازمي، المرجع السابق، ص:123. والأهدل، المرجع السابق، ص:258.

السلبية لا يكون إلا بالتقدم الحضاري وتطوير الميدان الاقتصادي والمستوى المعيشي[1]. قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [سورة البقرة:183].والتقوى تشمل الامتثال لكل أنواع البر واجتناب كل ما فيه شر.

هـ–القيام بواجب الخلافة في الأرض والتعبد بتعميرها:

فالإنسان خليفة الله تعالى في أرضه،مصداقا لقوله عز وجل:﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ... ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة البقرة:30]،ومن مستلزمات هذه الخلافة أن يوظف الفرد ما آتاه الله تعالى من قدرات وإمكانات وما سخر له من مظاهر الكون فيما يفيده وينفع أمته،وأن يستخدم عقله وعلمه وجهده في عمارة الأرض وبنائها وتنمية سبل الحياة عليها، واستغلال ما تجود به من الخيرات الظاهرة والباطنة،وذلك سعيا منه للترقي في سلم الحضارة، وحينها يكون سعيه هذا داخلا في معنى العبودية لله عز وجل.وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يستخلفهم في الأرض، ووعْدُ الله لا يتخلف إذا توفرت الشروط اللازمة لتحققه[2].قال تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ ... ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة النور:55].ووجوه الإيمان والعمل الصالح لا تقتصر على العبادة،بل تشمل أيضا كل ما أمر الله به من إعداد العدّة والأخذ بأسباب القوة والتهيّء لحمل الأمانة التي حُمّلها الإنسان.

وعند أخذ الأمة بشروط الاستخلاف،وهي الإيمان والأعمال الصالحة بمختلف أنواعها سواء الدنيوي منها أم الأخروي،وسارت على هدى مما شرعه الله لها في كل شؤونها تَمَكَّن الدينُ من نفوس أهلها،وصاروا مؤهلين للتمكين في الأرض وحمل راية التفوق والتطور الحضاري[3].

(1) خالد الحازمي، المرجع السابق، ص:123 وما بعدها. وهاشم الأهدل، المرجع السابق، ص:258 وما بعدها.

(2) القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، ص:183. والبوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص:24 وما بعدها. والأهدل، المرجع السابق، ص:259 وما بعدها.

(3) البوطي، المرجع نفسه، ص:36 وما بعدها. والأهدل، المرجع السابق، ص:259.

و–القيام بالأعمال الحضارية حبا في التعبد وتقربا إلى الله تعالى:

فالإنسان بحاجة إلى التدين والتعبد كحاجته إلى الطعام، فكما أن الطعام غذاء للجسد لينمو ويسلم من الأمراض،فكذلك العبادة هي غذاء للروح كي تسلم من الأمراض المعنوية الروحية.والعبادة–كما سبق–تشمل كل ما قصد فيه الإنسان التقرب إلى الله عز وجل بهدف نيل مرضاته،ومن ذلك القيام بالأعمال الحضارية خدمةً للأمة،وبذل المجهودات التي تسهم في الرقي الحضاري لها.

وإذا استحضر الشخص ذلك المعنى للعبادة فإنه سيحرص على أداء أعماله وواجباته بكل جد ورغبة،بل يحرص أيضا على تقديم ساعات إضافية زائدة عمّا هو مطلوب منه من ساعات العمل،ويحتسب ذلك عند الله تعالى؛لأنّ القيام بالواجب المطلوب فقط لا يكفي في النهوض الحضاري،بل لا بد من التضحية والاجتهاد فوق ذلك، وهذا يشمل جميع العاملين بمختلف مهنهم وتخصصاتهم[1].

3–الأسس التشريعية للتربية الحضارية:

من المعلوم أن الناس بحاجة إلى قوانين وتشريعات تنظم حياتهم وتضبط علاقات بعضهم ببعض،كي يعيشوا في سكينة واطمئنان.ولذلك فقد سعى البشر منذ القدم إلى البحث عن قوانين وتنظيمات تضمن السير الحسن لحياة المجتمع في كل المجالات والميادين.

ولكن التشريعات والقوانين التي عرفها البشر ليست على درجة واحدة من حيث القوة والضعف،ومن حيث الشمول والقصور،وذلك حسب المصادر التي اقتبست منها، وهي نوعان:

أ–تشريعات سماوية:وهي التي جاء بها الرسل من عند الله عز وجل،كشريعة التوراة والزبور والإنجيل والقرآن الكريم.

ب–تشريعات وضعية:وهي من وضع البشر،حكّاما كانوا أو غيرهم،وهي عبارة عن شرائع محدثة إما أن تكون تحريفا للشرائع التي جاء بها الرسل،وإما أن تكون لا علاقة لها بالأديان،وقد يستفيد بعضها من الشرائع السماوية[2].

---

(1) الأهدل، المرجع السابق، ص:261.

(2) الأهدل، المرجع السابق، ص:262.

ولكن لم يبق من الشرائع السماوية صحيحا ومحفوظا من التحريف والتزييف إلا الشريعة الإسلامية كما هو معروف.كما أن التشريعات الوضعية لا تصلح لتنظيم حياة البشر نظراً لقصورها وجريان النقص والنقض عليها.

والشريعة هي ما شرعه الله تعالى لعباده من الأحكام المختلفة،مما ينظم شؤون حياتهم في كل المجالات.يقول القرطبي رحمه الله في تفسيره:«فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين،والجمع: الشرائع.والشرائع في الدين: المذاهب التي شرعها الله لخلقه»[1].

أما الأسس التشريعية فهي مجموعة الأحكام والنظم الإسلامية التي تهدف إلى تنظيم حياة الأفراد والمجتمعات والأمة.ومن تلك الأسس التقيد بمفهوم الحلال والحرام ومراعاة المقاصد الشرعية.ومن مظاهرها الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية والتجارية،وأحكام الأسرة،وأحكام القضاء والعقوبات بمختلف أنواعها،وغير ذلك[2].وتتميز هذه الأسس بخصائص هي:

أ-أن مصدرها هو الله عز وجل،وهو ما يدل على عدالتها ونزاهتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان،ولكل الناس وكل الحضارات.قال الله تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ ... ﴿١٩﴾ ﴾[سورة الجاثية:18-19].

فالآية تتضمن الدعوة إلى اتباع شرع الله؛لأنّه الصراط المستقيم والطريق الحق،أما غيره من الشرائع أو المناهج البشرية فلا تفيد شيئا،بل قد تعود بالوبال والخسار على متّبعيها.

ب-أنّها ناسخة لجميع الشرائع السابقة التي نزلت منسجمة مع الزمن والوضع الحضاري الموجود آنذاك،ومع ظروف الأقوام الذين نزلت فيهم.قال الله تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ... ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة المائدة:48].أما الشريعة الإسلامية فقد حوت جميع المزايا والفضائل التي تضمنتها الشرائع السماوية السابقة وأكثر،وهي صالحة لتحقيق مصالح الخلق إلى يوم القيامة.

ج-أنها ضمان لحماية المجتمع من الانحرافات وارتكاب المنكرات،وحِفظٌ لمكتسباته الحضارية، فيعيش أهلها في كنف الأمن بشتى أصنافه:سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وصحيا وتربويا وغيرها،

(1) محمد بن أحمد القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، تح:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج16 (ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/ 1964م) ص:163.

(2) الأهدل، المرجع السابق، ص:264.

ويمارسون نشاطاتهم الحضارية بما يتوافق مع الشرع الحنيف،ويعمهم التعاون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتتحقق بهم الحضارة المنشودة لخير أمة أخرجت للناس.

د-الجزاء في الشريعة الإسلامية يشمل الدنيا والآخرة،وهو أدْعى وأقرب للتمسك والامتثال له؛ فبعض الناس لا يلتزمون بالأحكام والتشريعات،فناسب ذلك وضع إجراءات ردعيّة زاجرة لصرفهم عن ارتكاب ما هو محظور.ولا شك أن الجزاء الأخروي له وقع في النفوس المؤمنة التي نشأت على محاسبة النفس ومراقبة الخالق جلّ وعلا.

هـ-أنها شاملة لحياة الناس بمختلف جوانبها بصفة عامة،وقد تركت مجالا للاجتهاد عند عدم توفر الدليل المباشر في المسائل المختلفة وبضوابط معينة،فهي شريعة تتميز باليسر ورفع الحرج، وتساير كل الظروف والأحوال والأشخاص[1].

هذا وإنّ للأسس التشريعية في الإسلام آثارا تربوية جليلة،أبرزها:

أ-جلب المصالح ودرء المفاسد عن كيان الأمة:

فأحكام الشريعة ضمان لسير نشاطات المكلفين وتصرفاتهم على طريق حفظ المصالح وتكثيرها،ودرء المفاسد وتقليلها،وهو ما يُسهم في حماية الجهود الحضارية من الانحراف الذي تحدث عنه المصائب والويلات التي حصلت في الحضارات التي لم تلتزم بالمنهج الرباني.فوضع الشريعة –كما قال الشاطبي-:«إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معًا»[2].

والصلاح والفساد إنما تقرره الشريعة ومقاصدها والاجتهادات النابعة من النصوص الشرعية، وليس خاضعا لأهواء البشر[3].

ب-توجيه الحضارة ومنجزاتها واكتشافاتها وعلومها وفق ضوابط الشرع:

فإذا فهم المكلفون أحكام الشريعة والتزموها عقيدةً وعملاً وخلقًا استطاعوا أن يُخضِعوا النشاطات الحضارية بمختلف أصنافها وميادينها لها؛ فتكون كل تصرفاتهم و سلوكاتهم منسجمةً

---

(1) ينظر في هذه الخصائص:الدكتور عمر سليمان الأشقر،خصائص الشريعة الإسلامية،ص:33 وما بعدها. والدكتور يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام،ص:09 وما بعدها. والأهدل،المرجع السابق،ص:264 وما بعدها.

(2) الشاطبي، الموافقات، ج2، ص:02.

(3) البوطي، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية (لا.ط،مؤسسة الرسالة،بيروت،د.ت)،ص:65 وما بعدها.والريسوني، نظرية المقاصد، ص:375 وما بعدها.

مع شرع الله عز وجل ولا تحيد عنه أبدا.وأكبر دليل على ذلك هو صحابة رسول الله ﷺ الذين فقهوا الأحكام التي جاءت بها الشريعة،فطبقوها وخالفوا كا ما يعارضها، فأقاموا بذلك حضارة إيمانية قوية.

وقد كان للعرب قبل الإسلام علوم وأخلاق،فجاءت الشريعة لتثبّت ما هو صحيح منها وحثت على التزامه وبينت منافعه وزادت عليه،وأبطلت ما هو باطل وبينت مضارّه [1].

قال الشاطبي رحمه الله:« واعلم أن العرب كان لهم اعتناء بعلوم ذكرها الناس،وكان لعقلائهم اعتناء بمكارم الأخلاق واتصاف بمحاسن الشيم،فصحّحت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه،وأبطلت ما هو باطل،وبينت منافع ما ينفع من ذلك،ومضار ما يضر»[2].
ثم ذكر رحمه الله بعض العلوم والأخلاق التي كانت في الجاهلية،وبيّن أن الإسلام أقرّ بعضها ونهى عن بعضها،ونظّم وهذّب استعمال بعضها الآخر[3].

ج–حب النظام الذي تقوم عليه الحضارات وتعويد الناشئة عليه:

فالأسس التشريعية من عناصر النظام الإسلامي،وتربية الأجيال على هذه الأسس يعلمهم النظام ويعوّدهم على احترامه؛لأنّ كل مجتمع حضاري يعتمد على أنظمة متعددة تسيّر شؤون الحياة فيه،كنظام الأمن والتعليم والجامعات،ونظام المدن والأحياء،ونظام الإدارات والمؤسسات، وغير ذلك.وكلما كانت هذه الأنظمة دقيقة مراعية للمساواة والعدالة بين أفراد المجتمع سادت المحبة والتفاهم بينهم،وكان ذلك دافعا للناشئة للابتكار والإبداع والمنافسة الشريفة،«وعندما يتم تطبيق النظام تطبيقا جيدا يمكن قياس الإنتاج اليومي والسنوي للعاملين في المنظومات العاملة مقارنة بعدد ساعات الدوام اليومي.ففي الأمم المتطورة ماديا يتساوى عدد ساعات الدوام مع عدد ساعات الإنتاج،أما حين حدوث الخلل فستزيد الساعات المفقودة من الدوام،وبالتالي تقل ساعات الإنتاج.ولذلك يجب إعداد المتعلمين لاستغلال الأوقات وإعداد الأعمال في حينها وعدم تأخيرها،كي لا تتأخر الأمة حضاريا»[4].

---

(1) الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام، ص:269 وما بعدها.

(2) الشاطبي، الموافقات،ج2، ص: 47.

(3) المصدر نفسه.

(4) الأهدل، المرجع السابق، ص: 271.

وتجدر الإشارة إلى أن المحافظة على الأعمال وإتقانها وأدائها في أوقاتها المخصصة لها هو من المقاصد التي تهدف الشريعة إلى تثبيتها في أذهان المتربّين،وتحرص على أن ينشأوا عليها ويراعوها في كل شؤون حياتهم. يقول النبي ﷺ:«**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ**»[1].

د–الحفاظ على الأمن والاستقرار لقيام الحضارة واستقرارها:

لأنّ الأمن والاستقرار من أهم العناصر اللازمة للنهوض الحضاري،بداية من الأمن الغذائي، والأمن على النفس والمال.وقد امتنّ الله عز وجل على قريش بنعمة الأمن والغذاء بقوله تعالى: ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝** ﴾[سورة قريش:4/3] فالإنسان لا يمكنه التفكير والإبداع في ظل وضع لا يشعر فيه بالأمن من الجوانب سالفة الذكر.ومن هنا كان الالتزام بالمقاصد العامة للشريعة الإسلامية ومراعاة الضروريات والحاجيات والتحسينيات كفيلاً بحفظ الأمن بمختلف نواحيه،كالأمن العقدي الذي يحافظ على كيان الأمة والأمن على النفس والعرض الذي يزرع المحبة والاحترام بين الناس ويمحو الضغائن والخلافات.

كما أن تعلّم الأحكام المتعلقة بالأموال يجعل المتربّين يحرصون على جمعه وإنفاقه بالطرق المشروعة،ويخافون الله تعالى في أموال غيرهم،ويندفعون نحو العمل وينبذون الكسل بهدف خدمة أنفسهم ومجتمعهم،وسعيًا لبناء الحضارة[2]. هذا بالإضافة إلى أن توظيف العقل فيما ينبغي أن يُوظَّف فيه شرعا،كتدبر النصوص الشرعية والتفكير السليم المنبني على قواعد المعرفة الصحيحة وحفظه مما يُحدث فيه خللا بأيّ وجه يربّي الناشئين على المنطق العلمي والفكر الاستدلالي،ولا يتجهون إلا للتفكير فيما ينفع الأمة.وإذا توافرت هذه الأنواع من الأمن فلا بد أن ذلك سيؤدي إلى تقدم ونجاح مسيرته نحو الرقي الحضاري[3].

هـ–تعريف الأجيال بالأولويات التي تحتاجها المجتمعات للتقدم والتفوق:

إنّ فهم التقسيم والترتيب المنطقي لمقاصد الشرع المتمثل في الضروريات والحاجيات والتحسينيات يساعد المكلف في معرفة الأولويات ويسهم في التفوق الحضاري؛ذلك أنّ

---

(1) أخرجه أبو يعلى في مسنده (4386).و الطبراني في الأوسط (897) والبيهقي في شعب الإيمان (334/4) كلهم من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. وللحديث شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن لغيره كما قال أهل هذا الشأن

(2) الأهدل،المرجع السابق،ص:271 وما بعدها.وعمر سليمان الأشقر،خصائص الشريعة الإسلامية،ص:81 وما بعدها

(3) ينظر يحيى بن عبد الفتاح باقاسي، الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية، ص:63 وما بعدها.

الضروريات ينبغي أن تكون في أعلى سلم الأولويات؛لأنه لا تستقيم حياة الناس ولا الوضع الحضاري لهم إلا بمراعاتها والاعتناء بها،وجَعْلها واقعا ملموسا لكل أفراد المجتمع. قال الشاطبي: «فأما الضرورية فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا؛بحيث إذا فقدت لم تجرِ مصالح الناس على استقامة،بل على فساد وتهارج وفوت حياة،وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين»[1].

كما أنّ من مقاصد الشرع أيضا تحقيق حاجيات الأمة،وهذه الحاجيات تختلف من زمان إلى آخر؛فحاجة الأمة في عصرنا هذا غير حاجاتها فيما سبق من العصور.فحاجتها الآن إلى التفوق الصناعي والزراعي والعسكري والتكنولوجي ووسائل النقل والاتصالات،وذلك مما لا شك فيه يستلزم تطورا حضاريا يناسب مقتضيات العصر[2]. قال الشاطبي:«وأما الحاجيات فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب...»[3].

هذا بالإضافة إلى أنّ من مقاصد الشرع أيضا تحصيل التحسينيات التي يُقصَد منها تحسين مظهر الإنسان ومسكنه وسلوكاته وعلاقاته وغير ذلك من محاسن العادات ومكارم الأخلاق كما ذكرها الشاطبي حيث قال:«وأما التحسينيات فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنّسات التي تأنفها العقول الراجحات،ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق... وفقدانها ليس بمخلّ بأمر ضروري ولا حاجي وإنما جرت مجرى التحسين والتزيين»[4].

ومما يجري مجرى ما سبق-أي التحسينيات-المحافظة على البيئة وتزيينها وتجميل الحياة باللعب واللهوالذي لا يُخِلُّ بالآداب ووسائل الترفيه والتسلية التي لا تتناقض مع مقاصدالشريعةالغراء [5].

---

(1) الشاطبي، الموافقات، ج2 ص: 04.

(2) الأهدل، المرجع السابق، ص: 272.

(3) الشاطبي، المرجع السابق.

(4) الشاطبي، المرجع السابق، ص:05.

(5) الأهدل، المرجع السابق، ص:273.

و–توجيه المتربين والمسؤولين إلى مقومات الحضارة المستنبطة من الشريعة:

فحينما يكثر تداول أحكام الشريعة على المستوى الاجتماعي،وتصير ثقافة المجتمع نابعة من التعاليم الربانية يكون للشريعة تأثير على تربية خُلُق الناشئة؛عن طريق تحكيم الشرع في حياتهم اليومية،فتكثر الأعمال الخيّرة النافعة للأمة وتتلاشى التصرفات المقيتة، بحيث لا يَسمح أفراد المجتمع لأيٍّ كان بمخالفة الشرع أو خرق النظام العام،حفاظا منهم على كيانه وهويته الدينية، وبذلك تسلم حضارته من الانهيار.

كما أن فهم الشريعة فهما جيدا يؤدي بالمدارس النظامية إلى أن تكون موجّهة لخدمة الحضارة وبنائها على أسس شرعية،فينشأ أبناؤها منشأً صالحا،وتتكوّن لديهم عادات سلوكية قويمة وانضباط خلقي عظيم،وتغرس في قلوبهم مفاهيم المسؤولية؛بداية من المسؤولية نحو النفس ثم مسؤوليتهم نحو الأهل والجيران والمجتمع،فتتجلى هذه المسؤولية في صورة وازع ديني في أعماقهم يمثل جدارا حصينا ضد المحرمات، وسلوكا سليما منسجما مع ما يحبه الله ويرضاه، ويكونون أفرادا صالحين في وسط المجتمع المسلم ملتزمين بأحكامه وأعرافه، وحينها تبرز العديد من الجوانب الحضارية الراقية في الأمة [1].

ز–إزالة العوائق الحضارية وحماية المنجزات:

فتطبيق الحدود الشرعية والتعزيرات ومختلف العقوبات التي جاءت بها الشريعة دون شك هو من صميم الحضارة لا منافيا لها كما يزعم بعض من يدّعي الانتصار لحقوق الإنسان. فقتل القاتل عمدا وجلد الزاني أو رجمه وقطع يد السارق ومحاربة كل صور اكتساب الأموال بوجوه غير شرعية كالربا والرشوة والتحايل وغير ذلك، كله من باب إزالة العوائق الحضارية التي تشغل الناس عن القيام بدورهم الحضاري المطلوب.ولهذا كان للنظام القضائي في الإسلام أهمية كبيرة ومكانة بارزة؛لدوره الهام جدّا في المحافظة على تماسك المجتمع وحماية مقوماته [2].«ولإقامة الحدود وتطبيق العقوبات آثار تربوية تدعم الوجود الحضاري والمكتسبات الحضارية من نواحي عديدة منها: –استقرار المجتمع وثبات بنيانه وحماية المقومات المدنية بأقل قدر من التكاليف ...

(1) الدكتور مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية (ط1،دار الشروق، بيروت، 1983)،ص: 32 وما بعدها. والأهدل، المرجع السابق، ص:274.

(2) القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص:177/176. والأهدل، المرجع السابق، ص:276 وما بعدها.

-تحقيق العدالة الشاملة؛حيث يجد كل إنسان حقوقه كاملة ولا يأخذ أحد منه شيئا،فيشعر الجميع بالأمان والاطمئنان، مما يدفعهم للإنتاج المثمر والعمل البنّاء»[1].

4-الأسس العلمية للتربية الحضارية:

من المعروف أنّ العلم أمر ضروري لقيام أيّ حضارة وتفوّقها،وبقدر تمكّن الحضارة في العلوم المختلفة بقدر ما تكون مكانتها أعلى ورقيها أكبر. وقد شجع الإسلام وحثّ على طلب العلم والمعرفة،ومن الأدلة في ذلك قول المولى تبارك وتعالى:﴿ **قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ﴾ [سورة الزمر:09].وشرف العلم وأهميته لا يخفى على أحد من البشر،وبه أظهر الله فضل آدم على الملائكة وأمرهم بالسجود له،وبواسطته يصل الإنسان إلى الدرجات العالية في الدنيا والآخرة.

والحضارة الإسلامية إنما كان منطلقها علميا،وبناؤها تم على أسس علمية،من خلال أول كلمة نزلت على نبي هذه الحضارة سيدنا محمد ﷺ،وهي **"اقرأ"**.والقراءة هي مفتاح العلوم؛فإذا ما أحسّ الناشئة بقيمة العلم وأهميته تحركت هممهم لطلبه والمداومة عليه،ولذلك أثر بارز في نهضة الأمة وبناء حضارتها[2].

هذا وإنّ للأسس العلمية آثارًا تربوية حضارية، أهمها:

أ-الترغيب في العلم وطلبه:

فقد رغّب الإسلام في العلم وحث على طلبه والتمكن منه، وليس ثَمَّةَ دين من الأديان مثل الإسلام من حيث الترغيب في طلب العلم والاستزادة منه دوما.وذلك ما دلت عليه نصوص القرآن والسنة.حيث قال جل وعلا:﴿ **يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ...** ﴾ [سورة المجادلة:11].وقال النبي عليه الصلاة والسلام:«**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**» [3].

(1) الأهدل، المرجع السابق، ص:277.

(2) خالد الحازمي،أصول التربية الإسلامية،ص:77 وما بعدها. والأهدل، المرجع السابق، ص:278.

(3) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، وقال: هذا حديث حسن.

ومن شرف العلم وفضله أنّ المولى عز وجل لم يأمر النبي ﷺ أن يسأله الزيادة من شيء إلا العلم،حيث قال تعالى:﴿... وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [سورة طه:114]. والإسلام فتح الباب على مصراعيه أمام المسلمين ليتعلّموا ويعلّموا،ورغّبهم في ذلك ونفّرهم من الجهل،فبنوا حضارةً لم يشهد التاريخ لها مثيلا[1].

ب–توجيه العلوم إنسانيا وإسلاميا لخدمة الحضارة:

لأنّ العلم غير مقصود لذاته،بل للعمل به وتطبيقه فيما ينفع البشرية.فالعلم قد يرفع صاحبه إلى أعلى الدرجات إذا سخّر علمه لنفع نفسه ومجتمعه وأمته والإنسانية كلها، وقد يُسقِطه إلى أسفل الدركات إذا استخدمه في الشر والإفساد،وبذلك تذهب طاقاته سدى دون منفعة في الدنيا ولا في الآخرة. فالمطلوب هو أن تُوجّه العلوم كلها لصالح البناء والرقي الحضاري[2].قال الله تعالى:﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ [سورة الجاثية:23].

ج–اتخاذ العلم أساسا لكل عمل من الأعمال الدينية والدنيوية:

وذلك بهدف الوصول إلى البناء الحضاري المنشود،وقد أشارت الآية القرآنية الكريمة،وهي قوله تعالى:﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ... ١٩﴾ [سورة محمد:19] إلى ضرورة العلم قبل البدء في العمل،فليس من المنطق في شيء أن يبادر المكلف إلى أداء الأعمال دون أن يتعلم،فلا بد من الأساس النظري قبل التطبيق؛لأنّه إذا قام بالعمل قبل أن يتعلم فستكون النتيجة حتما هي التخبط والفوضى،وربما التقليد الأعمى الخالي من العلم الدافع للأداء العملي [3]. إذن فوظيفة الإنسان –التي هي عبادة الله عز وجل وعمارة الأرض– تتطلب العلم حتى يكون أداؤها على الوجه الصحيح المطلوب.

---

(1) ينظر يحي بن عبد الفتاح باقاسي، الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية، ص:100 وما بعدها. والأهدل، المرجع السابق، ص: 279.

(2) يحي بن عبد الفتاح باقاسي، المرجع السابق، ص:101. والأهدل،المرجع السابق، ص:281.

(3) يحي باقاسي، المرجع السابق. والأهدل، المرجع السابق، ص: 281– 282.

د–إفهام المتربّين بأنّ العلم عبادة يتقرب بها العبد إلى خالقه إذا عمل به:

فالعلم النافع الذي يُقصَد من ورائه خدمة الدين والأمة والمساهمة في خدمة الحضارة ورقيها يعتبر من صميم العبادة. فإذا ما شعر المربي والمتربي أنهما بتعلمهما وتعليمهما يساهمان في وضع لبنات راسخة في الصرح الحضاري،وأنّ عملهما هذا عبادة،فلا شك أنهما سيندفعان للاهتمام أكثر بالعلم والاستزادة منه والتبحّر فيه. ونفع العلم أكبر من نفع عبادة مقتصر نفعها على صاحبها؛لأنّ العلم نفعه يتعدّى [1].

هـ–عدم التفريق بين العلوم الشرعية والعلوم التجريبيّة لتحصيل التفوق الحضاري:

فالعلم عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه تعالى،«والعبادة بمفهومها الواسع تشمل كل نشاط خيّر للإنسان على وجه الأرض.وتعلّم العلوم النافعة يُعتَبر نشاطاً إنسانيّاً خيّراً،فهو بذلك عبادة ... والمسلمون الأوائل حينما تربَّوْا على الإسلام أدركوا أنّ قضية الاهتمام بالناحية العلمية هي قضية تعبّديّة بالدرجة الأولى،وليست للاستعلاء والتسلط في هذه الدنيا. وكذلك فإن علماء المسلمين الأوائل لم يفرقوا بين العلوم التجريبية والعلوم الشرعية، بل كان الواحد منهم فلكيًّا ومفسّرا وطبيبا وفقيها في آن واحد... وهذا مما يؤكد لنا أن علماء المسلمين لم يعتبروا طلب العلوم الشرعية فقط عبادة،بل اعتبروا كل علم يساعدهم على أوامر الله عبادة» [2].

فالإسلام يحث أهله على الاستفادة من كل مصادر المعرفة والعلوم المختلفة،من أجل خدمة الدين والحضارة.ولهذا فقد اهتمّ المسلمون منذ الصدر الأول بالعلوم التجريبية والطبيعية،بجانب اهتمامهم بالعلوم الشرعية،وبرعوا فيها؛وذلك بهدف تحصيل أسباب القوة للأمة وتفوقها الحضاري.وفي ظل هذه المفاهيم شهدت الحضارة الإسلامية نهضة علمية وفكرية شاملة خلال العصور الوسطى،حيث ترجم العلماء المسلمون كتب الأوائل من المشرق والمغرب خصوصا اليونان الذين اشتهروا بالفلسفة،والتي كانت تشمل الجوانب العلمية والرياضية والطبيعية، واخترعوا علوما جديدة لم يسبق لها نظير، مثل:"علم الجبر"، واكتشفوا المنهج الاستقرائي التجريبي الذي اقتبسه الغربيون فيما بعد منهم،وقامت على أساسه النهضة الغربية الحديثة.

---

(1) ينظر يحي باقاسي، المرجع السابق، ص:101- 102. والأهدل، المرجع السابق، ص:282.

(2) يحي باقاسي، المرجع السابق، ص: 102.

ولقد كانت الحضارة الإسلامية قرونا عديدة تمسك بزمام الحضارة والتطور العلمي في مختلف الميادين،في وقت كانت أوربا تعاني في ظلام العصور الوسطى وسيطرة الكنيسة والنظام الإقطاعي[1].

و–رفع مكانة العلماء العاملين بعلمهم لأنهم صناع الحضارة:

فللعلماء العاملين مكانة بارزة في الحضارة الإسلامية،وهم يُعتبَرون ورثة الأنبياء،وقد بين القرآن الكريم أنهم هم الذين يخشون الله حقا.قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ... ۝٢٨ ﴾ [سورة فاطر:28]. وبيّن أيضا أن درجتهم عالية ومنزلتهم رفيعة بين المؤمنين،حيث قال عز من قائل:﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ۝١١ ﴾ [سورة المجادلة:11]. فالعلماء العاملون هم الذين يقودون مسيرة الأمة للنهوض الحضاري ويبنون شخصيات الأفراد الذين يحسنون التعامل والاستثمار في المعلومات المتوفرة لديهم حضاريا.كما أن الحضارة الناجحة هي التي يكون للعلماء فيها مكانتهم اللائقة بهم، وترفع من شأن العلم وتجعله في أعلى سلم أولوياتها.والمقصود بالعلم هو ما يشمل العلوم النافعة،سواء أكانت من علوم الدين أم من علوم الدنيا[2].

ولا شك أن التعليم هو سبب التقدم والرقي،أو سبب التخلف والتراجع في أي أمة، وذلك راجع إلى العملية التعليمية التعلّميّة،ومدى نجاعتها ونجاحها في بناء الأفراد القادرين على التفوق في السباق الحضاري[3].

ز–تفعيل حركة البحث العلمي واستخدام قوانين التسخير:

فالإسلام يحث أبناءه على التأمل والتفكير في مظاهر الكون وسنن الحياة،بهدف الاستفادة منها وتوظيفها في مجال النهوض الحضاري.والتفكير السليم هو الذي يكون مبنيا على معلومات وحقائق علمية ينتج عنها عمارة الكون وفق أسس صحيحة،تحقيقا لمظهر الاستخلاف الذي

(1) ينظر القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، ص: 143. والأهدل، المرجع السابق، ص:283 وما بعدها.

(2) القرضاوي، المرجع نفسه، ص:144 وما بعدها.

(3) الأهدل، المرجع السابق، ص:286.

كلف به الإنسان.وهذا يعني أن تكون حركة البحث العلمي متواصلة ومستمرة دون انقطاع، للوصول إلى أسرار الكون وتسخير ما خلقه الله للإنسان فيما يفيد الإنسانية [1].

ح–التحفيز العلمي لنيل التفوق الحضاري:

فلا سبيل إلى تحقيق التقدم والرقي الحضاري إلا بوساطة العلم؛فكل أمة تفوقت في العلم نجد أنها متفوقة حضاريا على غيرها.ولهذا تتنافس الأمم في عصرنا على الإمساك بناصية العلوم في كل المجالات؛لأنها تعلم أنها هي السبيل للحصول على زمام القوة في العالم.«ولذلك فإن الواجب على المسؤولين على العملية التربوية تهيئة المناخ العقلي والنفسي الذي يساعد على تكوين العقلية الإسلامية التي تقف بقوة أمام الكيانات الثقافية والحضارية المختلفة،ويَتمّ إبراز الذاتية الإسلامية عن طريق تحصيل العلم والتمسك بالتعاليم الإسلامية.وحين يقوم المتربي المسلم بدوره في العلم والعمل يظهر أثره في الميدان الحضاري» [2].

5–الأسس الأخلاقية للتربية الحضارية:

الأخلاق في الإسلام هي عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني،والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحوٍ يحقق الغاية من وجوده على الوجه الأكمل.

ولقد حظيت الأخلاق بعناية فائقة في الحضارة الإسلامية،ومما يدل على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.وتمثل الأخلاق والقيم الجانب المعنوي أو الروحي في الحضارة الإسلامية،وأيضا الجوهر والأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه أي حضارة.قال النبي ﷺ:«**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»[3]. فالغرض من بعثته عليه الصلاة والسلام هو إتمام الأخلاق والعمل على تقويمها وإشاعة مكارمها، بل الهدف من كل الرسالات هدف أخلاقي،والدين هو نفسه حسن الخلق [4].

ويمارس المتربي الأخلاق كسلوك عملي من خلال علاقات عديدة، هي:

---

(1) الأهدل، المرجع السابق، ص:288.

(2) الأهدل، المرجع السابق، ص:292.

(3) أخرجه البخاري في الأدب المفرد،رقم: 273.والحاكم في مستدركه (613/2)، وقال:صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.كما أخرجه أحمد في مسنده بلفظ:"إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"، حديث رقم: 8729.

(4) ينظر خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص:135 وما بعدها. والأهدل،المرجع السابق، ص:293 وما بعدها.

أ– علاقته بربه: وتتمثل في عبادته والخضوع له والتسليم لأمره، وذلك بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه.قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[سورة البقرة:21].والإنسان حين يعبد ربه وخالقه عز وجل يرتقي حضاريا، ويهبط إلى الحضيض حين يُعرض عبادة مولاه سبحانه وتعالى ويعبد غيره.

ب–علاقته مع البشر:وهي علاقة الإنسانية التي ترجع لآدم عليه السلام، وتكون بإشاعة المودة والمحبة والخير لبني البشر،وبانتشار هذه الأخلاق تسود مظاهر الأمن والرخاء والبناء والازدهار الحضاري.

ج–علاقته مع الكون:وذلك باستحضار أنّه خُلق لخدمة الإنسان ليستفيد منه ويسخر ما فيه من مظاهر لتعمير الأرض واستثمار ما تتضمنه من خيرات ظاهرة وباطنة.

د–علاقته بالكائنات الحية:وذلك بمعاملتها بالرفق والإحسان[1].

والتربية الحضارية تسعى لترسيخ الفضائل في نفوس الناشئة من خلال المناهج والأنشطة المختلفة،حتى يلتزموا بالأخلاق الفاضلة وتكون طبعًا وعادة ملازمة لهم في كل شؤون حياتهم.

وللأسس الخُلُقيّة آثار تربوية حضارية هامة، أبرزها:

أ–نشر قيم المحبّة والتآخي بين أفراد مجتمع الحضارة:

ويحصل هذا بتربية الأجيال على هذه القيم الفاضلة، فيحبون لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم، وهذا باعتبار الأخوّة الإسلامية التي يجب أن تطبع العلاقات المتنوعة بين أفراد خير أمة أخرجت للناس [2]. قال النبي ﷺ:«**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[3].

ب–نبذ الأنانية والصراع على حطام الدنيا ومنجزات الحضارة:

فمن الأخلاق والقيم التربوية التي ينبغي تربية الأجيال عليها خلق الكرم والإيثار والإنفاق، فبِها ترتقي المجتمعات؛لأنّ الجشع وحب المال وجمع الحطام الذي تفرضه الحضارات المادية خطر على النسيج الاجتماعي والتماسك الحضاري [4].

---

(1) الأهدل، المرجع السابق، ص:294 وما بعدها.

(2) المرجع السابق، ص:297.

(3) أخرجه البخاري ومسلم كلاهما في كتاب الإيمان.

(4) المرجع السابق، ص:298.

قال الله تعالى:﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحشر:09].

ج-إيجاد المناخ الملائم لإزالة الفوارق الطبقيّة والعنصرية:

فالحضارات السابقة والمجتمعات الغربية حاليا عانت من مشكلة الطبقية والعنصرية أزمانا طويلة،فظهرت فيها ظاهرة التمييز بين السود والبيض والتمييز على أساس قَبَلي أو نَسَبي أو غير ذلك من الأمور،وهو ما ولّد البغضاء والعداوة بين الناس. أما الأساس الخلقي في الحضارة الإسلامية فإنه يناهض ويحارب كل أنواع وأشكال التمييز والتفرقة بين أفراد المجتمع على أسس غير شرعية،بل يساوي بين الجميع،ويجعل مقياس التفاضل الوحيد هو التقوى[1]. يقول الله عز وجل:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات:13].

د-القضاء على أنواع الظلم المهدد لكيان الحضارات:

فمن أرفع القيم التي تقوم عليها الحضارات هو:العدل؛لأنّ العدل أساس الملك،وهو عامل هام جدا في استقرارها واستمرارها.فبانتشار العدل يأمن الناس على أنفسهم وعلى ما ملكت أيمانهم، ويتفرغون للبناء والتعمير والاجتهاد في الوصول إلى النهوض الحضاري المطلوب [2].
ومن السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم القيامة: إمام عادل، كما جاء عن النبي ﷺ [3].

هـ-حماية القيم الرفيعة وتطبيقها على جميع الكائنات في ظل الحضارة:

ومن تلك القيم:خلق الحياء،الذي يساعد على التمسك بالفضائل واجتناب الرذائل،وبالمحافظة عليه ترتقي حياة الأمة،وذلك بتماسك أُسَرِها وانتشار العفة فيها وزوال كل المظاهر المنافية لهذا الخلق العظيم الذي قال فيه رسول اللهﷺ:«**وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»[4].
وبزوال هذا الخلق تزول الحضارة من الوجود إنْ عاجلا أو آجلا.

---

(1) المرجع السابق، ص: 300.

(2) المرجع السابق، ص: 302

(3) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ،أخرجه البخاري ومسلم كلاهما في كتاب الزكاة وغيره.

(4) جزء من حديث أخرجه البخاري عن ابن عمر،كتاب الإيمان،باب أمور الإيمان، حديث رقم:09. ومسلم عن أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث رقم:57.

ومن القيم الرفيعة أيضا التي ينبغي أن تتربّى الأجيال عليها:مساعدة المستضعفين من المساكين والأيتام والأرامل والأطفال والنساء وغيرهم،وكذلك الرفق والإحسان في التعامل مع جميع الناس،بل حتى مع الحيوانات.حيث يقول النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الصدد:«**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»[1]. وبهذه القيم الخلقية وأمثالها تسود الحضارة ويرتفع شأنها [2].

6-الأسس النفسية للتربية الحضارية:

إنّ التربية عمل علمي فني يستند إلى علوم متخصصة مختلفة، ومن أبرزها:علم النفس بفروعه المختلفة.فدراسات التعلم ونظرياته ودراسة النمو في مختلف المراحل العُمْريّة،ودراسات الصحة النفسية وتعليم الفئات الخاصة،ودراسة علم النفس الاجتماعي، كلُّ هذه تدخل في نطاق الأسس النفسية للتربية الحضارية [3].

«وترتبط موضوعات علم النفس عموما بالحياة السلوكية للأفراد،وما يتصل بها من دوافع وتصرفات سلوكية،وبالانفعالات وضبطها،ويناقش العواطف والمشاعر وكيفية تكوينها وتحليلها، كما يهتم بالعمليات المعرفيّة الذهنية،كالإدراك والانتباه والتذكر والتعلم،ويهتم أيضا بالعمليات المعرفية العليا كالتفكير والابتكار والإبداع،ويرتبط أيضا بالسمات الشخصية والنفسية والفروق الفردية بين المتربّين»[4].

وتوجيه الإسلام للنفس الإنسانية يسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أ-تربية انفعالات النفس وإيجاد التوازن فيما بينها وبين القوى الأخرى في جسم الإنسان

ب-إيجاد التوازن في النفس الإنسانية لتحقيق مطلب أكبر،وهو توجيه إمكاناتها في سبيل عمل الخير لكل الناس والابتعاد عن الأنانية وحب الذات.

ج- تلبية متطلبات النفس في توازن بديع لا يطغى على متطلبات الحياة.

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الصيد، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، حديث رقم (1955).

(2) ينظر الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام، ص:304 ومابعدها.

(3) منتديات كل العرب، موقع إلكتروني (www.kull-alarab.com.forum)، 2017/04/17.

(4) الأهدل، المرجع السابق، ص: 309.

د- تربية النفس على الاستقامة والشعور بالمسؤولية وحب العمل[1].

واستنادًا إلى قوله تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ... ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة فصلت :53] فإنه يمكن توجيه الأجيال وحثهم على دراسة هذه المواضيع المتعلقة بالنفس؛وذلك رغبةً في الاستفادة منها في تنشيط الحركة الحضارية على جميع الأصعدة،وفي كل الميادين.

ومنه فإن للأسس النفسية آثارًا تربوية حضارية، أهمها:

أ-الدعوة لدراسة النفس الإنسانية وتزكيتها ومعرفة قدراتها وإمكاناتها في خدمة الحضارة

ب-إشعار الأجيال بالكرامة الإنسانية، مما يدفعهم للتفوق الحضاري

ج-استغلال الاستعدادات والإمكانات المُودَعة في النفس،وتوظيفها لما فيه خير الأمة والبشرية

د-البدء بالأنفس للتغيير نحو الأفضل وللمحافظة على الرقي الحضاري، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ... ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الرعد:11].

هـ-توظيف الحاجات النفسية لتحقيق التفوق الحضاري؛ومن ذلك الحاجة إلى التدين، والحاجة إلى الانتماء، والحاجة للأمن، والحاجة للتقدير وإثبات الذات، والحاجة إلى الحرية،والحاجة إلى الانضباط وحب الاستطلاع والاكتشاف،والحاجة إلى الجمال ...

و-تنمية القدرات العقلية للحصول على الإبداع والابتكار الحضاري.

ز-الاعتراف بالدوافع البيولوجية للإنسان واحترامها؛للمحافظة على الشخصية الحضارية المتوازنة وذلك مثل:الطعام والشراب والزواج ... إلخ [2].

ثانيا:أبرز مظاهر مساهمة المقاصد في بناء الحضارة الإنسانية

المظاهر التي يبرز فيها دور مقاصد الشريعة في البناء الحضاري الإنساني عديدة ومتنوعة؛ ذلك لأنّ مجالات الحياة التي تسعى التربية الحضارية في الشريعة الإسلامية لتحقيقها متنوعة أيضا. فالتربية الحضارية التي تقصد الشريعة إلى ترسيخها تشمل ميادين النشاط الحضاري كلها، وهذه الميادين ينبغي أن يتربّى الناشئة على التوجه إليها والاستفادة من توجيهات وتعاليم

(1) الأهدل، المرجع السابق، ص:310. وينظر الموقع الإلكتروني:منتديات كل العرب (www.kull-alarab.com.forum)

(2) الأهدل، المرجع السابق، ص:311 وما بعدها.

الإسلام في توظيفها لخدمة الحضارة والرقي بها، وإعادة المجد الذي كانت تتمتع به الأمة في عصورها الذهبيّة [1].

هذا بالإضافة إلى أن التربية الحضارية في الشريعة تسعى لتحقيق التوازن والتكامل لإنسان الحضارة،والنمو الشامل للمجتمع، وبذلك فهي تقدم عطاءات متنوعة تلبي الحاجات المادية والمعنوية والنفسية لأبنائها،وتُظهِر قدرتهم على العطاء الحضاري المتميز، بل والمنافسة القوية لقيادة البشرية في جميع المجالات.

ويمكن تقسيم المظاهر التي ساهمت بها مقاصد الشريعة في بناء الحضارة إلى ثلاثة أقسام:

- الميادين المادية والاقتصادية
- الميادين المعنوية
- الميادين التنظيمية والتشريعية [2].

1- الميادين المادية والاقتصادية:

وهي تشمل الميادين الغذائية والصناعية والتجارية والعسكرية والتقنية والصحية والطبية والعمرانية:

أ-الميادين الغذائية:

وهي تشمل الثروة الزراعية، والثروة المائية،والثروة الحيوانية:

أولا-الثروة الزراعية: ودور التربية الحضارية في الإسلام لهذا المجال يكون كالآتي:

-توجيه المتربين لأساليب التنمية الزراعية

-بيان كثرة إنعام الرزّاق سبحانه وتعالى وقدرته وعظمته من خلال التفكر في تنوع المزروعات واختلاف الأراضي المزروعة.قال الله تعالى:﴿ **وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٤** ﴾ [سورة الرعد:04].

- تحقيق التكافل الزراعي بين المسلمين

---

(1) المرجع السابق، ص: 327.

(2) المرجع السابق، ص: 329 وما بعدها.

- الربط بين طريقي الدنيا والآخرة من خلال الزرع والنبات، لقوله ﷺ:«**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلاَّ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**»[1].

-استخدام أساليب شرعية لتعميم الفائدة وتنشيط الحركة الزراعية في الأمة

-تحقيق الأمن الغذائي بتنويع المطعومات والمشروبات،وتنويع طرق استثمار الأراضي الزراعية

-توعية الأجيال وتعريفهم بأحكام الزراعة وآدابها وما يتعلق بها من أمور شرعية

-الحث على استغلال الأراضي المتروكة أو المهجورة لتكثير المساحة الزراعية.قال النبي ﷺ:«**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ**»[2].

-تأسيس الزراعة على الأسس العلمية الحديثة [3].

ثانيا-الثروة المائية:وتتم تنمية هذه الثروة بالأساليب الآتية:

-التربية على الاستفادة من جميع وجوه النشاط الحضاري المستخدِمة للماء

-ضرورة استخدام الثروة المائية وتوظيفها لرفع مكانة الأمة وزيادة ثروتها. فهي ثروة بالغة الأهمية في التنمية،قال الله تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ...** ۝ ﴾ [سورة الأنبياء :30].

-التربية على الترشيد في استهلاك المياه [4].

ثالثا-الثروة الحيوانية: ويمكن استغلال هذه الثروة في تلبية حاجات الأمة الاقتصادية، ومساعدتها في الاستغناء عن الأمم الأخرى، ومن وجوه الاستفادة ما يأتي:

-توجيه الأجيال للاستفادة من المنتوجات الحيوانية في دعم اقتصاد الأمة.قال الله عز وجل:﴿ **وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** ۝ ﴾ [سورة النحل :05].

---

(1) رواه أحمد (12981) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (168/1)، قال شعيب الأرناؤوط وآخرون: إسناده صحيح على شرط مسلم، انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل (296/20) تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، (ط1، مؤسسة الرسالة،1421هـ-2001م).

(2) أخرجه مالك في الموطأ،باب القضاء في عمارة الموات.كما أخرجه أبو داود في الخراج،والترمذي في الأحكام،والنسائي في الموات كلهم عن سعيد بن زيد. وأخرجه الترمذي أيضا عن جابر بن عبد الله وقال: حديث حسن صحيح. (ينظر الزيلعي، نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية:288/4). تحقيق محمد عوامة (ط1،مؤسسة الريان،بيروت،1997).

(3) ينظر الدكتور مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية ، ص:97 وما بعدها. والأهدل، المرجع السابق، ص:332 وما بعدها.

(4) الأهدل، المرجع السابق، ص:340 وما بعدها.

-تعلّم الآداب الإسلامية الحضارية في التعامل مع الحيوانات والرفق بها.

-الاستفادة منها في تجميل الحياة وتزيينها.قال المولى تبارك وتعالى:﴿ **وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨** ﴾ [سورة النحل :08] [1].

ب-الميادين الصناعية:

وتتمثل توجيهات التربية الحضارية في الإسلام في هذا الميدان فيما يلي:

- إتاحة المجال لممارسة أساليب التقدم الصناعي
- تفعيل المصانع والمؤسسات الصناعية
- تبصير الأجيال بأسرار التفوق الصناعي
- التوجيه إلى مواجهة التخلف الصناعي
- استغلال الثروة المعدنية في الصناعات المختلفة وزيادة الدخل العام.قال الله تعالى:﴿ **وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ... ۝٢٥** ﴾ [سورة الحديد:25].
- الاستفادة من العلم والتكنولوجيا في المجال الصناعي [2].

ج-الميادين التجارية:

وهذا الميدان من أهم المظاهر التي تتعلق بالحضارات، فهو يعتمد على المال الذي يشكل عصب الحياة في أي حضارة،ومن أهم توجيهات التربية الحضارية للشريعة في هذا الميدان الآتي:

-اعتبار التنمية التجارية من مراتب العبادة،فقد قال تعالى:﴿ **وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ... ۝٢٠** ﴾ [سورة المزمل:20].

- الالتزام بالمبادئ والقيم الإسلامية في التعامل التجاري

إعداد الأجيال لمراعاة التوازن الاقتصادي،فالتوازن الاقتصادي في الأمة مطلب حضاري لتحقيق الأمن الاجتماعي والسياسي،ولذلك تنبغي تربية الأجيال على العدل والمحبة والتعاون في شؤون الثروة والمال،وعدم السماح لفئة قليلة أو كثيرة أن تستأثر بمقدّرات الأمة وخيراتها.

---

(1) الأهدل، المرجع السابق، ص:343 وما بعدها.

(2) ينظر الدكتور مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية ، ص:99 وما بعدها. والأهدل، المرجع السابق، ص:346 وما بعدها.

– التربية على الالتزام بتوجيهات الإسلام في تنمية الثروة واستخدامها.قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الفرقان:67].

– تربية الناشئة على منافسة أجيال الدول المتفوقة في الإنتاجيّة [1].

د–الميادين العسكرية:

وتظهر توجيهات التربية الحضارية هنا كالآتي:

– إعداد العدةالعسكرية الملائمة للعصر وتنويع وسائلها.قال الله تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ... ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة الأنفال:60].

– تربية الأجيال على امتلاك القوّة الرادعة لأعداء الله،لحفظ هيبة الأمة وحضارتها.فلا يكفي امتلاك القوة والسلاح فقط،بل لا بد من إيجاد الشعور بوجود أهداف من وراء امتلاك هذه القوة.قال جل وعلا:﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة الأنفال:60].

– تنمية روح الجُنديّة والانضباط والتعود على حب النظام؛لأنّ هذه الأخلاقيات من سمات المجتمع المتحضّر.

– تربية أفراد الجيوش الإسلامية وقوادها على حمل همّ الإسلام ونشره

– استخدام الجيوش في أوقات السلم للتنمية والبناء والإصلاح [2].

هـ–الميادين التقنية:

يشهد المسلمون تخلفا في هذا المجال مقارنة بالدول المعاصرة،وخاصة الغربية.ولذلك يتأكّد توجيه المتربين للاستفادة مما يأتي:

– الاستفادة الحسنة من الاختراعات والأجهزة الحديثة،وعدم الاكتفاء بالنقل والامتلاك

– تشجيع الأجيال على الاختراع والابتكار

– الاهتمام بمدرسي العلوم الكونية والمواد العلمية،كالرياضيات والكيمياء والأحياء والحاسوب وغيرها [3].

---

(1) الأهدل، المرجع السابق، ص:352 وما بعدها. ومقداد يالجن، المرجع السابق، ص:103.

(2) الأهدل، المرجع السابق، ص:358 وما بعدها. ومقداد يالجن، المرجع السابق، ص:100.

(3) الأهدل ، المرجع السابق، ص:363 وما بعدها.

و–الميادين الصحية والطبية:

وتوجيهات التربية الحضارية في هذا المجال تتمثل في:

– الأمر بالتداوي والأخذ بأسباب الصحة والعافية،وتعلّم طرق العلاج وأنواع التطبيب.قال رسول الله ﷺ:«**تَدَاوَوْا يَا عِبَادَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ**»[1].

–الاستفادة من التوجيهات الصحية في القرآن والسنة لدعم الأبحاث الطبية.مثل قول النبي ﷺ: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثٍ:فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ،أَوْشَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ» [2].

– مراعاة استخدام الطرق الصحية في المأكل والملبس والمسكن والحياة عموما.قال تعالى:﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝** ﴾ [سورة المدثر:04].

– التربية على المسؤولية في مهنة الطب

– وجوب تكوين روح التضحية والمنافسة لتحقيق التقدم الطبي

– بيان شمولية الإسلام في علاج الروح والبدن،والحاجة للتثقيف الصحي

– تكوين الوعي بأساليب الغزو الصحي؛فقد يوجد في الأسواق مأكولات ومشروبات وأدوية يُجهل مصدرها وتركيبها،فتشكّل خطرا على الصحة العامة،ولذلك وجبت التوعية بمثل هذا الأمر [3].

ز–الميادين العمرانية:

وأبرز توجيهات التربية الحضارية فيها هي:

– تحقيق التقدم في البناء العمراني المفيد، بجميع أشكاله

– التوجيه إلى ربط العمران الحضاري الإسلامي بالقيم والأخلاق.وذلك بتربية المتعلمين على الاعتزاز بالفن المعماري في الحضارة الإسلامية،والذي ينطلق من منطلقات قيمية أخلاقية

– تكوين مقدّرات إبداعية عمرانية لدى الأجيال المسلمة،وذلك بتوجيه المهتمين إلى فن العمارة والديكورات لإبراز الذوق المعماري الإسلامي في المباني والمنشآت الكبيرة والصغيرة.

---

(1) سبق تخريجه، أخرجه ابن ماجة في كتاب الطب.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث (5681).

(3) الأهدل، المرجع السابق، ص:365 وما بعدها.

– مراعاة النزاهة والأمانة في البناء والتعمير؛ويكون ذلك بمراعاة متطلبات الحيطة والسلامة والدقة في الإنشاء والتعمير،والابتعاد عن الغش والمماطلة في التعامل مع المستفيدين [1].

2– الميادين المعنوية:

وهي الميادين المؤثرة في النواحي الفكرية والعقلية للأجيال، وتسهم بقوة في توجيه تصرفاتهم وسلوكاتهم. ويدخل في هذه الميادين:الميدان العقدي، والعبادي، والعقلي، والعلمي، والفكري:

أ–الميادين الاعتقادية والروحية والأخلاقية:

وذلك يستلزم مراعاة ما يأتي:

– تكوين روح التضحية لنشر العقيدة وتبليغ الإسلام للناس كافة.قال الله تعالى:﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝** ﴾ [سورة فصلت:33].

– التربية على القدرة على الاحتساب الحضاري؛ويتمثل في الحث على فعل الخير (الأمر بالمعروف) والنهي عن الشر (النهي عن المنكر) [2].

ب–الميادين الأدبية والفنية:

وذلك يتطلب تربية الأجيال على ما يأتي:

– التربية على توظيف الآداب والفنون لخدمة الحضارة الإسلامية

– التربية على إبعاد العمل الفني علن المحظورات الشرعية والسلوكات السلبية

– تنمية الإحساس والشعور بالجمال والإبداع الموجود في الطبيعة

– بيان أهمية الإبداع الفني في الصناعات المختلفة؛لأنّ ذلك يؤدي إلى دعم المردود الاقتصادي لها [3].

3–الميادين التظيمية والتشريعية:

وتتضمن الميادين التشريعية المستنبطة من الشريعة،وعلى الميادين الإدارية والسياسية،وهي من اجتهادات البشر، كما تتضمن أيضا الميادين الاجتماعية:

---

(1) الأهدل، المرجع السابق، ص:372 وما بعدها. ومقداد يالجن، المرجع السابق، ص:78 وما بعدها.

(2) الأهدل، المرجع السابق، ص:377. ومقداد يالجن، المرجع السابق، ص:80.

(3) ينظر مقداد يالجن، المرجع السابق، ص:101 وما بعدها. والأهدل، المرجع السابق، ص:381.

أ–الميادين التشريعية:

وتتطلب التربية الحضارية في هذا المجال ما يأتي:

– غرس قيمة التعلق بالنظام الإسلامي

– توجيه الأجيال للمناصب الشرعية، وخدمة الأمة والحضارة من خلالها، مثل:منصب القضاء والفتوى وغير ذلك [1].

ب–الميادين السياسية والإدارية:

ويبرز دور التربية في هذا المجال في الآتي:

– التربية على حسن التعامل مع المسؤولين والإداريين؛لأنهم يقومون بدورهم في خدمة المجتمع، فينبغي أن تكون معاملتهم حسنة

– تكوين قيمة الالتزام بالنظام واللوائح واحترامها؛فالمجتمعات المتحضرة تلتزم بوضع وأنظمة تسير الحياة على منوالها، وهي واجبة التطبيق من طرف الجميع [2].

ج–الميادين الاجتماعية:

ويظهر دور التربية الحضارية الإسلامية في هذا الميدان كالآتي:

– التربية على حسن إدارة أموال المجتمع العامة،وصرفها فيما ينفع الأمة،فقد وضع الإسلام قواعد وأصولا لمصادر الحصول عل المال ولسبل إنفاقه،وطرق الاستفادة من المال العام، وهو ما تتكفل به مؤسسة بيت المال (الخزينة العمومية)

– تفعيل نظام الأوقاف الإسلامية لتنمية المجتمعات وتقدمها،فالوقف كان له دور بارز في تفوق الحضارة الإسلامية

– تكوين روح الفضيلة وإيثار المصالح العامة على المصالح الخاصة لدى الناشئة

– وتكوين روح التعاون مع الآخرين،وروح التضحية من أجل رفع مكانة المجتمع المسلم بين المجتمعات الأخرى.

---

(1) الأهدل، المرجع السابق، ص:386 وما بعدها.

(2) الأهدل، المرجع السابق، ص:387 وما بعدها.

وهذه القيم والسلوكات الفاضلة لا يرقى إليها إلا المتربين ذوي المستويات العالية من الأخلاق الفاضلة، الذين هذّبت نفوسهم وصاروا يحرصون على ما ينفعهم وينفع مجتمعاتهم وأمّتهم [1].

(1) الأهدل، المرجع السابق، ص:390 وما بعدها. ومقداد يالجن، المرجع السابق، ص:107 وما بعدها.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي تم بفضل الله وحسن عونه وتوفيقه وله الحمد والمنة، يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج والتوصيات نجملها فيما يأتي:

أولا–النتائج:

أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا تتمثل في النقاط الآتية:

1- يمكن لمقاصد الشريعة أن تستوعب كل المستجدات والنوازل والتطورات الحاصلة والتي ستحصل على مستوى معيشة الفرد والجماعة، كما أنها قادرة على إيجاد الأحكام المناسبة لكل ذلك؛ لأنها شريعة صالحة لكل زمان ومكان.

2- الحضارة هي التطور والرقي الذي تشهده أمة من الأمم في مجالات الحياة المختلفة: الاقتصادية والسياسية والعسكرية والدينية والاجتماعية والثقافية والفنية، وغيرها

3- إن التحضر الحقيقي هو ما كان منطلقه أخلاقيا، ويراعي الجانب الروحي في الإنسان،وذلك يعني أنه التطور والرقي الشامل للجانبين المادي والمعنوي،فلا تحضر فعليا دون دين وأخلاق، ولا يعتبر تحضرا التقدم الذي يركز على الجانب المادي مع إهمال الجانب الأخلاقي الروحي، لأنه سيؤدي لا محالة في نهاية المطاف إلى إلحاق الفساد والوبال بالبشر.

4-إن التحضر الحقيقي بالمعنى السابق ذكره لا يتنافى مع التدين، بمعنى أن الالتزام بتعاليم الشريعة بتطبيق الأوامر واجتناب النواهي لا يتعارض مع التحضر، بل يتوافق معه ويمكن أن يتلاقيا على وفاق تام؛ذلك أن التحضر يراعي الجانب الأخلاقي والديني وينطلق منهما، وكل ما ينافي ذلك فلا يعد تحضرا وإن ادّعى بعض الناس أنه كذلك.

5- لكل حضارة خصائص ومزايا تميزها عن غيرها من الحضارات، لكنّ الخصائص التي تميزت بها حضارتنا الإسلامية فريدة من نوعها؛حيث بلغت شأوا عظيما من العلو والرقي لم تشهده ولن تشهده أي حضارة؛لأن مصدرها هو الشرائع الربانية التي شرعها الحكيم الخبير سبحانه وتعالى، المحيط بأحوال خلقه، العليم بما يصلحهم في العاجل والآجل

6- من أهداف التربية الحضارية التي تضمنتها مقاصد الشريعة الالتزام بالمنهج الإسلامي في بناء الحضارة، وبناء أجيال معتزة بدينها وحضارتها، قادرة على مواجهة أخطار الغزو الحضاري

الأجنبي، ومغالبة السلبيات المترتبة عن العولمة، وتمييز الغث من السمين في الحضارات الأخرى، فتستفيد منها ما يسهم في الرقي والتطور الذي لا يتنافى مع تعاليم الشريعة ومقاصدها النبيلة، وتلقي وراء ظهرها ما كان منها معارضا للشرع الحنيف.

7- من أبرز أوجه مساهمة مقاصد الشريعة في البناء الحضاري الإنساني هو الأسس والمرتكزات التي حوتها، والتي تهدف إلى تربية حضارية راقية للإنسان وبناء صرح حضاري شامخ ودائم، مثل الأسس العقدية، والأسس التعبدية، والأسس التشريعية، والأسس العلمية، وغير ذلك؛ مما يسهم في إيجاد حضارة يسعد بها الإنسان وتتحقق فيها مصالحه الدنيوية والأخروية؛ لأنّ المصالح في الحضارة الإسلامية شاملة للداريْن،ولا تختص بمصالح الدنيا فقط كما هو شأن الحضارات الأخرى. هذا بالإضافة إلى المظاهر التي يبرز فيها قصد الشريعة إلى التحضر البشري، والتي تشمل ميادين الحياة المختلفة.مثل: الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتشريعية والإدارية والصحية والطبية والعلمية والفنية والثقافية ...إلخ

8- مما يجدر التأكيد عليه هو إفهام الناشئة ضرورة عدم التركيز على العلوم الشرعية مع التفريط في العلوم التجريبية، وتوجيه عنايتهم إلى الاهتمام بالنوعين، فلا بد من الاستفادة من العلوم التجريبية وتسخيرها لتستفيد منها الأمة الإسلامية،وتتمكن من اللحاق بركب التطور في كل مجالات الحياة وتكون رائدة فيها، ولا تكون في ذيل الأمم، عالة على غيرها تأكل ما لا تزرع، وتتمتع من المظاهر المادية بما لا تصنع؛لأنها تمثل خير أمة أخرجت للناس إذا التزمت بشريعة الله، وهي الأمة التي يجب أن تأخذ بعوامل التمكين وشروطه إذا أرادت أن تكون لها السيادة والتفوق في الأرض الذي وعد الله به الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ثانيا–التوصيات:

بعد معايشتي لهذا البحث ودراسته من جوانبه المختلفة لاحت لي بعض التوصيات التي يمكن الاستفادة منها فيما يخص أولا الاقتراحات المتعلقة بالجانب التربوي الحضاري،والموجهة لكل من يهمه الأمر، وخاصة المسؤولين عن شؤون الأمة. ويخص ثانيا آفاق البحث في هذا المجال، وأعني هنا مجال الحضارة الإنسانية ودور المقاصد الشرعية في بنائها ، وأوجه مساهمتها في تطوير الفعل الحضاري الإنساني، ولذلك فإن التوصيات ستكون على النحو الآتي:

1- الدعوة إلى إنشاء مراكز خاصة بالبحوث الحضارية في المراكز العلمية المختلفة، وخاصة الجامعات، لما في ذلك من دعم وتطوير للبحث المتخصص في جانب هام من حياة الأمة الإسلامية، يتعلق بفهم صحيح للحضارة والتحضر والمساهمة في تطبيق مستلزماتهما على أرض الواقع

2- اقتراح إقرار مادة خاصة بالتربية الحضارية في كل المستويات التعليمية بدءا من مستوى الابتدائي؛ كي يفهم الناشئة معنى الحضارة والتحضر، ولا يقعوا في مغبة الفهم الخاطئ لهذين المصطلحين، وهو الفهم الذي صارت أدواته ووسائله كثيرة في ظل العولمة وانتشار وسائل الاتصال والتواصل الحديثة، خاصة منها ما أطلق عليه اسم: وسائل التواصل الاجتماعي.

3- أقترح مجموعة من العناوين التي يمكن لها أن تصب في صالح إثراء موضوع التحضر، ودور المقاصد الشرعية في بناء الحضارة ومساهماتها متعددة الأوجه في تطوير الجوانب الحضارية لدى الإنسان، وهذه العناوين هي:

- التحضر البشري، دراسة مقاصدية
- صلة مقاصد الشريعة بالبناء الحضاري الإنساني
- دور المقاصد الشرعية في تفعيل خصائص الحضارة الإنسانية
- خصائص التحضر البشري، دراسة مقاصدية
- دور مقاصد الشريعة في التربية الحضارية
- دور المؤسسات التعليمية في ترسيخ التربية الحضارية السليمة
- الأسس المقاصدية في بناء الحضارة الإنسانية.

فهرس الآيات القرآنية

الآية أو شطرها– السورة ورقمها	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة (2)		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ... ﴾	21	93
﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ... ﴾	30	80-52-40-25
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا... ﴾	31	46
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ...﴾	143	60
﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ ... ﴾	148	79
﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ... ﴾	177	70
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ...﴾	178	22
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ... ﴾	183	80
﴿... كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ... ﴾	249	75
سورة النساء (4)		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا...﴾	71	74
سورة المائدة (5)		
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ...﴾	38	23
﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ... ﴾	48	82
سورة الأنعام (6)		
﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	162	77
سورة الأنفال (8)		
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ... ﴾	60	100
سورة هود (11)		

﴿...هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...﴾	61	63-25
سورة الرعد (13)		
﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ... ﴾	04	97
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ...﴾	11	96
سورة النحل (16)		
﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾	05	98
﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	08	99
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ...﴾	09	17
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ...﴾ 97		71
سورة الإسراء (17)		
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ... ﴾	70	41-33
سورة الكهف (18)		
﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ...﴾	45	44
﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾	46	44
سورة طه (20)		
﴿... وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾	114	89
سورة الأنبياء (21)		
﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ... ﴾	30	98
سورة الحج (22)		
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ... ﴾	41	78
سورة النور (24)		
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ...﴾	55	80
سورة الفرقان (25)		

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾	67	100
سورة القصص (28)		
﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ...﴾	77	42
سورة العنكبوت (29)		
﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ ...﴾	64	42
سورة الروم (30)		
﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾	20	44
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ ﴾	22	34
سورة لقمان (31)		
﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ...﴾	19	17
سورة سبأ (34)		
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ... ﴿٢٨﴾ ﴾	28	64
سورة فاطر (35)		
﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ... ﴾	28	91
﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ... ﴾	39	63
سورة يس (36)		
﴿ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ...﴾	68	22
سورة الزمر (39)		
﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ...﴾	09	88-62
سورة فصلت (41)		
﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا... ﴾	33	102
﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ... ﴾	53	96
سورة الجاثية (45)		

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ۖ ...﴾	18	82-18
﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ...﴾	23	89
سورة محمد (47)		
﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ... ﴾	19	89
سورة الحجرات (49)		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ...﴾	13	94-59
سورة الذاريات (51)		
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ...﴾	56	69-53-25
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾	58	72
سورة الحديد (57)		
﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ... ﴾	25	99
سورة المجادلة (58)		
﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ... ﴾ 11		91-88-62
سورة الحشر (59)		
﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾	02	22
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ...﴾	09	94
سورة المزمل (74)		
﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ...﴾	20	99
سورة المدثر (75)		
﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾	04	101
سورة الطارق (87)		
﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ...﴾ 5-7		41
سورة الغاشية (89)		

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾	17	22
سورة البينة (99)		
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ... ﴾	05	70
سورة قريش (107)		
﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ... ﴾	4-3	85

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	رقم الصفحة
احرص على ما ينفعك واستعن بالله	73
الشفاء في ثلاث	101
القصد القصد تبلغوا	17
إن الله كتب الإحسان عل كل شيء	95
إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه	85
إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة	98
إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	92-64
تداووا يا عباد الله	101-74
خيركم من طال عمره وحسن عمله	42
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه	93
لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره	72
لا يبع حاضر لباد	27
من أحيا أرضا ميتة فهي له	98
من سلك طريقا يبتغي فيه علما	88-63
واعلم أنّ الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك	72
والحياء شعبة من الإيمان	94
ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر	78

قائمة المصادر والمراجع

أولا – القرآن الكريم

ثانيا – الكتب:

1- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (ط 3، دار صادر، بيروت، 1414هـ).

2- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، (لا.ط،دار الفكر،بيروت،د.ت).

3- أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح ، تح محمد فؤاد عبد الباقي (لا.ط،دار إحياء التراث العربي،بيروت،د.ت)

4- أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، المستصفى،تح:محمد عبد السلام عبد الشافي (ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،1993).

5- أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي،(لا.ط مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1999).

6- أحمد الريسوني،نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي،تقديم طه جابر العلواني(ط4،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مقره الرئيسي في الو.م.أ وله مكاتب في العديد من دول العالم خاصة الدول الإسلامية، 1995).

7- أحمد بن حنبل، المسند ،(ط1،مؤسسة الرسالة،1421هـ).

8- أحمد بن حنبل،المسند، تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، (ط1، مؤسسة الرسالة،1421هـ-2001م).

9- أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة (لا.ط،دار الفكر، سوريا،1979م) .

10- أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير،من جزأين في مجلد واحد (لا.ط، دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت).

11- أحمد عبد الرحيم السائح ، الحضارة الإسلامية،العدد الثالث (ط10،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، نوفمبر 1977).

12- إسماعيل أحمد ياغي،أثر الحضارة الإسلامية في الغرب(ط1،مكتبة العبيكان ،الرياض 1997).

13- البخاري،محمد بن إسماعيل،الجامع الصحيح تح:محمد زهير بن ناصر الناصر(ط1،دار طوق النجاة، 1422هـ).
14- ألبرت أشفيتسر،فلسفة الحضارة (لا.ط، مطبعة مصر، القاهرة،1963).
15- البوطي، محمد سعيد رمضان ،ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية (لا.ط، مؤسسة الرسالة، دمشق، د.ت).
16- البوطي، محمد سعيد رمضان ،منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم (ط3،دار الفكر، دمشق ،1998).
17- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد
18- عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض (ط2،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،1395هـ - 1975م).
19- الزيلعي، عبد الله بن يوسف،نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق محمد عوامة (ط1،مؤسسة الريان،بيروت، 1997).
20- القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام (ط10، مؤسسة الرسالة،بيروت،1999م)
21- القرضاوي، يوسف عبد الله، الإسلام حضارة الغد (ط3، المكتب الإسلامي،بيروت، 1418 هـ /1998م)
22- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش(ط2، دار الكتب المصرية،1384هـ/1964م).
23- جورج حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة (مطبعة الجامعة السورية، 1958).
24- حافظ بن أحمد الحكمي،أعلام السنة المنشورة، تح أحمد بن علي علوش (ط1،مكتبة الرشد، الرياض،1418هـ).
25- رالف لنتون، شجرة الحضارة،ترجمة أحمد فخري، (لا.ط مطابع الكتاب العربي بمصر، د.ت).
26- زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب،راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري (ط8، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة،بيروت،1993).

27- عبد الرحمن بن حسن حبنّكة الميداني الدمشقي،الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها (ط1،دار القلم،دمشق، 1998).
28- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح:عبد الله محمد درويش، (ط1،دار يعرب،دمشق، 2004).
29- عبد العزيز بن عثمان التويجري،خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل(ط2 ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، الرباط ،2015).
30- عبد المجيد النجار،فقه التحضر البشري(ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1999)
31- علال الفاسي،مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها (ط5،دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1993م).
32- عمر سليمان الأشقر، خصائص الشريعة الإسلامية(ط1، مكتبة الفلاح،الكويت 1982).
33- فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المحصول في علم أصول الفقه،تح الدكتور طه جابر فياض العلواني، (ط3، مؤسسة الرسالة،بيروت، 1418هـ/1997م).
34- مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه (ط1، دار الفكر، دمشق،2002)
35- مالك بن نبي، شروط النهضة(ط 1،دار الوعي،الجزائر العاصمة،2013).
36- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي،ترجمة عبد الصبور شاهين (ط1،دار الفكر، دمشق، 1986).
37- مالك بن نبي،الظاهرة القرآنية،(ط4، دار الفكر،دمشق،1987م).
38- مجمع اللغة العربية بالقاهرة "مجموعة من المؤلفين" ، المعجم الوسيط، (لا.ط، دار الدعوة، الإسكندرية، د.ت)
39- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تقديم حاتم بوسمة، لا.ط (دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني،2011).
40- مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا (ط1،دار ابن حزم،بيروت لبنان،2010).

41- مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية (ط1،دار الشروق، بيروت، 1983).
42- مناع القطان، التشريع والفقه في الإسلام تاريخا ومنهجا (ط5، مكتبة وهبة، القاهرة،2001).
43- وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي (ط1،دار الفكر،بيروت،1986).
44- وول ديورانت،قصة الحضارة،تقديم الدكتور محيي الدين صابر،ترجمة الدكتور زكي نجيب وآخرين، (لا.ط، دار الجيل، بيروت،لبنان،1988).

ثالثا – المقالات والبحوث والرسائل الجامعية:

1- أحمد عبده عوض،خصائص الحضارة الإسلامية ومميزاتها، مقال منشور إلكترونيا، (ahmedabdouawad.com/all-articles/1819).
2- أحمد عبد الحميد عبد الحق،الحضارة الإسلامية مفهومها وخصائصها وسماتها، موقع"**التاريخ**" الإلكتروني، (www.altareekh.com/article).
3- الموسوعة العربية (www.arab-ency.com/ar/)
4- الموسوعة العربية، إلكترونية، المجلد السادس،قسم الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد، (www.arab-ency.com/ar).
5- حمزة حسن سليمان صالح، أسس الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم،مركز تفسير للدراسات القرآنية (www.tafsir.net/article/4797).
6- خالد بن حامد الحازمي،أصول التربية الإسلامية (ط1،دار عالم الكتب،الرياض السعودية، 1420هـ)
7- رابطة الحوار الديني للوحدة(موقع إلكتروني)،الحضارة المفهوم والمصطلح (alhiwaraldini.com/home/4966-2).
8- عبد الرزاق وورقية، مقال بعنوان:"التدين والتحضر"،نشر في مجلة "حراء " الإلكترونية، العدد 12 (www.hiramagazine.com).

9- عبد المجيد النجار، مقال تحت عنوان:"معالم المنهج الحضاري في الإسلام"، نُشر في مجلة "ثقافتنا" للدراسات والبحوث،العدد الخامس والعشرون،2010/1431.
10- عماد الدين شاهين، الحضارة التي بقيت والتحضر الذي ذهب،مقال منشور في جريدة الشروق المصرية،نشر العدد في يوم الإربعاء: 21 نوفمبر2012.
11- مجلة المعرفة، إلكترونية، (تحضر www.marefa.org/).
12- معجم المعاني الجامع،معنى كلمة"تحضر"،موقع إلكتروني: (www.almaany.com/ar/dict).
13- منتديات كل العرب، موقع إلكتروني (www.kull-alarab.com.forum)
14- هاشم بن علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام،أصل الكتاب رسالة دكتوراه (ط1، سلسلة الرسائل الجامعية،جامعة محمد بن سعود الإسلامية،2007 م).
15- يحي بن عبد الفتاح بن عبد الله باقاسي،الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية، رسالة ماجستير،جامعة أم القرى، 1409هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
إهداء	أ
شكر وتقدير	ب
ملخص البحث بالعربية	ج
ملخص البحث بالإنجليزية	د
الرموز والإشارات المستخدمة في البحث	هـ
المقدمة	6
المبحث الأول: المدخل المفاهيمي للتعريف بمصطلحات البحث	16
المطلب الأول:تعريف مقاصد الشريعة وأقسامها	17
المطلب الثاني: مفهوم الحضارة والتحضر	27
المطلب الثالث: معنى التحضر البشري	32
المبحث الثاني: أركان وخصائص الحضارة وأبعادها المقاصدية	36
المطلب الأول: أركان الحضارة	37
المطلب الثاني: خصائص التحضر البشري	46
المطلب الثالث: الأبعاد المقاصدية للتحضر البشري	49
المبحث الثالث: دور مقاصد الشريعة في البناء الحضاري الإنساني	55
المطلب الأول: صلة مقاصد الشريعة بالبناء الحضاري الإنساني	56
المطلب الثاني: دور مقاصد الشريعة في تفعيل خصائص الحضارة الإسلامية	58
المطلب الثالث: أهم أوجه مساهمة مقاصد الشريعة في بناء الحضارة الإنسانية	66
الخاتمة	105
النتائج	105
التوصيات	107

فهرس الآيات القرآنية	108
فهرس الأحاديث النبوية	113
قائمة المصادر والمراجع	114
فهرس الموضوعات	119